عالم المؤتمر

مجلة تراثية فصلية

تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة - وزارة الثقافة والاعلام - الجمهورية العراقية

WWW.ATTAWEEL.COM

المجلد السابع عشر
العدد الاول
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

أسد الدين شيركوه

مواد البيان

لعلي بن خلف الكاتب

المتوفى بعد سنة ٤٣٧ هـ

تحقيق

د . حاتم صالح الضامن

كلية الآداب ـ جامعة بغداد

القسم الاول

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا الكتاب الذي نقوم بنشره أثرٌ نادرٌ في صناعة الكتابة ، جليلُ القدر ، عظيمُ النفع ، كبيرُ الفائدة ، جمع فيه مؤلفه الآداب الخاصة بالكتابة ، والعلوم التي يجب أن يعرفها كلّ كاتب لتعينه على انجاز عمله في كتابة الانشاء .

والكتابة العربية أشرف الكتابات لأنّ الكتاب العزيز لم يُرْقَم بغيرها .

وصناعة الكتابة من أنبل الصنائع خطراً ، وأحسنها على أهلها أثراً ، لاشتراك الخاصة والعامة في استعمالها .

وقد وقع لي هذا الكتاب بفضل صديقي المستشرق الألماني رابنهرت فايرت إذ وافاني بنسخة مصورة منه فله مني خالص الشكر والتقدير .

والغيرة على تراثنا العربي القديم هي التي دفعتني الى بعث هذا التراث ونفض غبار الزمن عنه .

وما من شك في أن عشاق التراث العربي وأنصاره سيفرحون بهذا الكتاب ، أما اعداء هذا التراث والحاقدون فما أظنهم إلاّ مغتمين وبائسين .

ولا بد لي أن أذكر أخي وصديقي الاستاذ عبدالحميد العلوجي حفظه الله تعالى إذ تفضل مشكوراً فأبدى رغبته في نشر هذا الأثر النفيس في مجلة المورد الغراء فجزاه الله تعالى عن العلم وأهله خير الجزاء .

والحمدُ لله أولاً وآخراً ، إنّه نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير .

مؤلف الكتاب

أبو الحسن علي بن خلف بن علي بن عبدالوهاب الكاتب ، من كتاب الفاطميين في القاهرة ، كان حياً سنة ٤٣٧ هـ .

ولم نقف على ترجمة له إذ أغفلته كتب التراجم جميعاً .

ومن حسن الحظ أننا وقفنا على نص مهم في كتابه (مواد البيان) إذ جاء فيه :

(. . وانه لو اغفل إلحاق السنة الخراجية بالهلالية لكان بينهما من سنة الهجرة والى سنتنا هذه وهي سنة سبع وثلاثين واربعمئة . .)

ومن هذا نتبين أن المؤلف قد توفي بعد سنة ٤٣٧ هـ .

ولعلي بن خلف كتاب سماه (آلة الكُتّاب) أشار إليه في

WWW.ATTAWEIL.COM

موضعين من كتابه (مواد البيان) .

قال في ص ٢٢٦ : (. . ويتفرع من هذين الأصلين أقلام عدة ذكرنا كثيراً منها في كتابنا الذي نعتناه بآلة الكُتّاب) .

وقال أيضاً في ص ٣٣٣ : (ولسنا نحتاج أن نذكر احكام الهجاء والمصطلح عليه منها ، لأنها موجودة في مظانها ، وقد استوفينا القول عليها أيضاً في كتابنا المرسوم له بآلة الكُتّاب) .

وله كتاب الخراج ، قال في ص ٣١ : (وسنستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى) .

وقال أيضا في ص ٥٠ : (. . وسنستوفي القول في كتاب الخراج إن شاء الله) .

ولا بد من الاشارة الى أنّ حاجي خليفة قد اكتفى في كتابه كشف الظنون ١٨٨٨ بقوله :

(موارد البيان لعلي بن خلف بن عبدالوهاب الكاتب) .

وحُرِّفت مواد فيه الى موارد .

هذا كلّ ما نعرفه عن المؤلف وعسى أن يقف أحد العلماء على ترجمة له فيفيد العلم وأهله .

كتاب مواد البيان

سبب وضع الكتاب :

بيّن المؤلف السبب في وضع هذا الكتاب فقال :

(وعلة وضعنا لكتابنا هذا رغبتنا أن نصنّف كتاباً جامعاً لما تنظمه صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها يُجد من يعنى بهذه الصناعة جميع ما يرونه من أصولها وفروعها التي فرّقها المصنفون في الكتاب مودعة فيه ، ويعرف به الطالب جلالة خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع ، ويصرف همته إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دونَ الرسم وبالزيّ دون المعنى) .

أبوابه :

قسم المؤلف كتابه على عشرة أبواب هي :

الباب الأول : في حد صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها وغرضها وقسمتها ورسم الكتاب وعلة وضعه .

الباب الثاني : في البلاغة وأقسامها الأصلية .

الباب الثالث : في أقسام البلاغة الفرعية .

الباب الرابع : في صناعة البديع وأبوابها .

الباب الخامس : في ما يُخرج الكلام عن أحكام البلاغة .

الباب السادس : في أنّ الطبع هو قوام الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها

الباب السابع : في أوضاع الخط وقوانينه وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والخَتْم .

الباب الثامن : في رسوم المكاتبات .

الباب التاسع : في آداب الصناعة .

الباب العاشر : في آداب السياسة .

أهميته :

تكمن أهمية هذا الكتاب في كونه من الكتب المؤلفة قديماً في صناعة الكتابة ، وكان لهذا السبب من أهم مصادر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى إذ نقل عنه في نحو مئتي موضع مشيراً الى اسم الكتاب مرة والى اسم المؤلف أخرى ، واعتمد عليه كثيراً في الباب الذي تحدث فيه عن (مذاهب كُتّاب الدولة الفاطمية) .

وكان يتصرف بالنقول وقد أشرت اليها في الحواشي .

وينفرد الكتاب بنصوص كثيرة ورسائل مهمة .

شواهده :

استشهد المؤلف بمئة وخمس وسبعين آية وبعشرين حديثاً .

أمّا الاشعار والأرجاز وأنصاف الابيات فقد أربت على ٧٥٠ .

وقد استشهد بكثير من شعر الجاهليين والمخضرمين والامويين ، وأورد كثيراً من شعر العباسيين كأبي تمام والبحتري . وابن الرومي والبستي وابن المعتز والشريف الرضي وغيرهم .

مصـادره :

اعتمـد المؤلف على الكتب المؤلفـة في البـلاغـة والبيـان والبديع وصناعة الكتابة ، وأشار في كتابه الى ابن المعتز وقدامة بن جعفر وأبي علي الحاتمي والرماني وأبي علي النحوي . ونقل من كتاب الخراج لقدامة أيضاً وصرح باسمه .

مخطوطة الكتاب :

هي نـسخة فريدة تحتفظ بها مكتبة الفاتح باسلامبول برقم ٤١٢٨ .

وتقـع هـذه النسخـة في ٢٠٢ ورقـة ، في كـل ورقـة صفحتان ، عدد اسطر كل صفحة ١٥ سطراً .

وقد كتبت النـسخة بخط النسخ المضبوط بالشكل ، وترقى كتابتها الى القرن السادس الهجري . وعلى صفحة العنوان عدة تملكات كما في الصورة المرفقة بنشرتنا هذه .

والمخطوطة نـاقصة الآخـر إذ ينقص من أبوابهـا العشرة المذكورة في مقدمة الكتاب البابـان التاسـع والعاشـر . ويتبين بمقابلة المخطوطة بصبح الأعشى أن النسخة التي اعتمد عليها القلقشندي أكمل من نسختنا هذه إذ ثمة نقول كثيرة من البابين الناقصين في صبح الأعشى سنلحقها في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

ولا بد من الاشارة الى أنني جعلت صبح الأعشى أصلاً ثانياً اعتمدت عليه في المقابلة وقد أشرت الى نقوله في الحواشي ومما يؤخذ عليه أنّه كان يتصرف بنصوص (مواد البيان)

وثمة مواضع فيها بياض بقدر كلمة أو كلمتين وضعت مكانها نقاطاً من غير اشارة الى ذلك .

واتبعت في الكتابة الرسم الاملائي المعروف عندنا ولم أشر الى رسم المخطوطة .

وقـد ارفقت بنشـرتي هـذه صـوراً لعنـوان المخـطوطـة وللصفحات الاولى والثانية والاخيرة .

والحمدُ لله الذي هدانا لهذا ، وما كنـا لنهتدي لـولا أن هدانا الله .

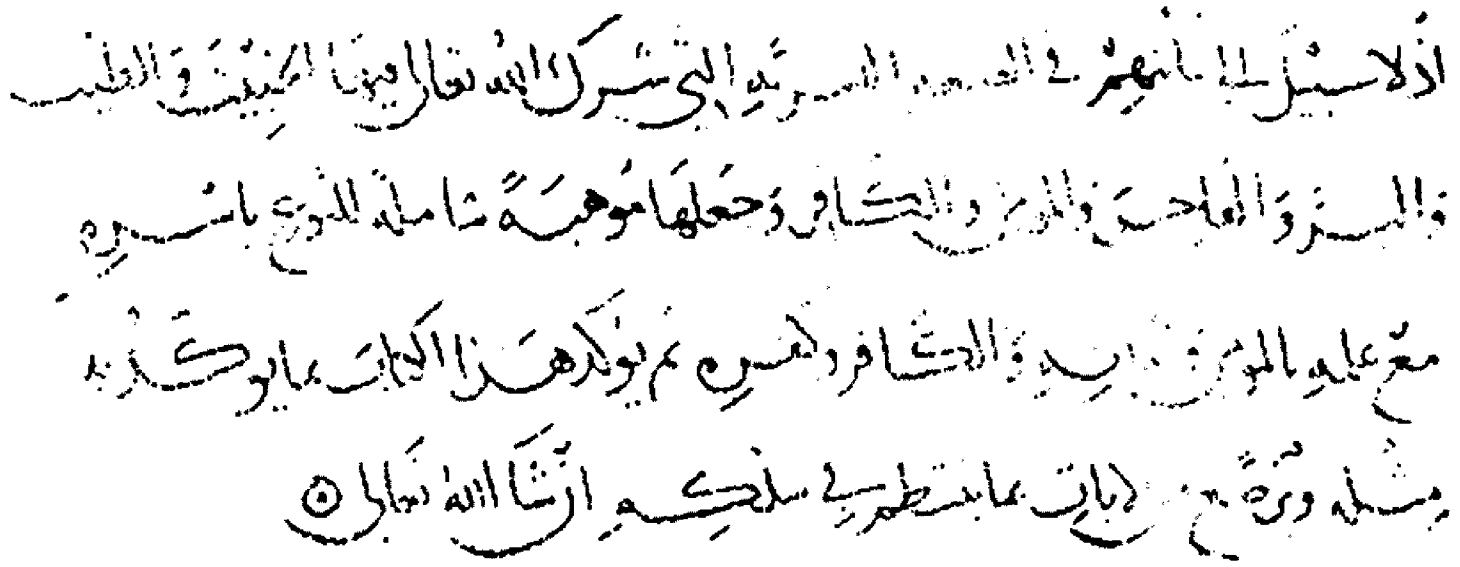

كتاب مولد البيان

تصنيف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي الحسن علي
بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب رحمه الله تعالى

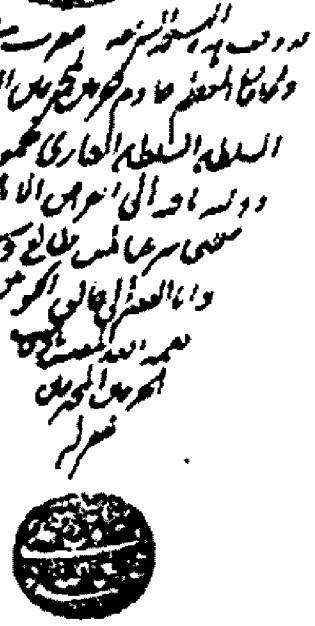

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خير خلقه وآله

وصحبه اجمعين ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

قال علي بن خلف بن علي بن عبد الوهاب الكاتب رحمه

اما بعد فان العقول اشجار والعلوم ثمرها والافهام بحار والآداب

جوهرها والبصائر نجوم والحكمة نورها ومن لطيف صنع الله تعالى

وصنعه ان جعل لكل ذي بصيرة بصيرة وغريزة منيرة فهو يقتدر

بها على اقتناص الصنايع واقتبالها والوصول بما اقتسرت قرايح مقتضية

عن تحصيل غاياتها كمالها فليس المبتدئ اولى بما ابتكره ممن اقتفى فيه اثر

لا سيما اذا جرد صور المعاني من موادها وخلص ارواحها من

اجسادها وبدلها بمعارض ارق من معارضها شفوفا وادق تطريزا وانضر

رونقا مخلطها والفه ونظم منثورها وعكفه وتستمل منقوصها

وتراث مخصوصها وتحل فصوصها وتزين عاطلها وحلاه والبس عاريها وكساه

وصفي مرنقها ونقي قذاه فان الله وهو المحمود قد سوى في هذه للوهبة

بين التالدين والطارفين واقدر الآنفين على استنباط سنن السالفين

فمن رأى أن ينشيم مفاصل اللبابة فنظمها مفاصل الإصابة
وتصرف من انتصاب رائع وتصنيف بارع وأخبار واقع فإن انتصبنا
انتصبنا نوادر الكلام وإن صنفنا انتصنا فوائد النظام ولولا ما نحن بإزائه
من ما نحن بصرفه ووجودهم بتقديم الثناء فراغ ما نحن فرغوه حتى يكون
الثاني مسبوقا والمتأخر لاحقا لأمكن أن يدعي أن ما نحن بصدده
وجدوا الأمر وصلوا إليه إذ المعاني ظاهرة في نفوس المميزين والعلم
لغزا بالولاء عليها من المتأخر ولذلك توارد فيها الخواطر وتوافت
إليها توافي الحوافر ولما كان كثير من مستنبطي الصناعات
يعتزون لاستتمام نوى قرائحهم في إقامة صور ما استنبطوه وإخراجه من
القوة إلى الفعل عن الباعث بوادر التميم وتحليه لعقود النظم
خصنا الله تعالى بالفضيلة في استدراك ما أغفلوه وتجلية ما صوروه
وأقدرنا بما حملونا عنان مؤونة الابتداع والمنع على قرائحنا من فضل
على تحصيل ما أجملوه ولخص ما افتضوه فلم يحق التكميل والترتيب
ونسق التحصيل والتبويب ولذلك لا يخلي من العلوم والتتابع إلا
وتغيير تحليته وتبديل صيغته وسطه واختصاره مكرر مستهل الإنسان

(٢) بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، وصلّى الله على سيِّدنا محمدٍ خيرِ خَلْقِهِ وآلِهِ وصَحْبِهِ أجمعين ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا بالله العليّ العظيم .

قال عليّ بن خلف بن عليّ بن عبدالوهاب الكاتب ، رحمه الله : أمّا بعدُ فإنّ العقول أشجارٌ ، والعلومُ ثمرُها ، والافهام بحار ، والآداب جوهرها ، والبصائر نجوم ، والحكم نورها . ومن لطيف صنع الله تعالى وصنعته أن جعل لكل ذي بصيرة بصيرة وغريزة منيرة قوة يقتدر بها على اقتضاب الصنائع وارتجالها ، والوصول بما قصرت قرائح مقتضبيه عن تكميل غايات كمالها فليس المبتكر أولى بما ابتكره ممن اقتفى فيه أثره ، لا سيما إذا جرد صور المعاني من موادها ، وخلص أرواحها من أجسادها ، وبدلها بمعارض أرق من معارضها شفوفاً وأدقّ تطريزاً وتفويفاً ، ورتب مخلطها وألّفهُ ، ونظم منثورها وعكّفه ، وكمل منقوصها وراش محصوصها وتَنَخّل فصوصها ، وزين عاطلها وحلاه وألبس عاريها وكساه وصفى مرنقها ونقى قذاه ، فإن الله وهو المحمود قد سوى في هذه الموهبة بين التالدين والطارفين ، وأقدر الآنفين على استنان سنن السالفين .

(٣) فنحن جدراء أن نشيم مقاصل اللبابة فنطبق بها مفاصل الاصابة ، ونتصرف بين اقتضاب رائع وتصنيف بارع واختيار واقع ، فإن اقتضبنا اقتنصنا نوادر الكلام ، وإنْ صنفنا ألفنا فرائد النظام . ولولا سبق الأولين الى ما اخترعوه ووجودهم بتقدم الزمان الى افراغ ما أفرغوه حتى لا يكون مُلغًى مهملاً وملقىً مُرسَلاً لأمكنَ أن يقع المحدثون على ما وقعوا عليه ، ويصلوا الى ما وصلوا اليه ، إذ المعاني قائمة في نفوس المميزين ، وليس المتقدم أحق بالولاء عليها من المتأخر ، ولذلك تواردت فيها الخواطر ، وتوافت إليها توافي الحوافر .

ولمّا كان كثير من مستنبطي الصناعات يعجزون لاستفراغهم قوى قرائحهم في إقامة صور ما استنبطوه ، واخراجه من القوة الى الفعل ، عن الباسه برود التنميم وتحليته كعقود التنظيم ، خصنا الله تعالى بالفضيلة في استدراك ما أغفلوه ، وتحلية ما صوّروه ، وأقدرنا بما حملوه عنا من مؤونة الابتداع وأبقوه على قرائحنا من فضل ﴿ الاتباع ﴾ على تفصيل ما أجملوه وتلخيص ما اقتضبوه ، فلهم حق التشكيل والتركيب ، ولنا حق التكميل والترتيب ، ولذلك لا شيء من العلوم والصنائع إلا وتغيير حليته ، وتبديل صيغته ، وبسطه واختصاره ممكن متسهل إلّا أنّ (٤) القرائح تخصُّ كلَّ صناعةٍ من العناية بتنقيحها وتهذيبها وتصحيحها وترتيبها بقدر شرف تلك الصناعة وفضيلتها وما يستثمر من جدواها وعائدتها .

ولما كانت الصناعة الكتابية والفضيلة اليراعية من أنبل الصنائع خطراً وأحسنها على أهلها أثراً لاشتراك الخاصة والعامة في استعمالها ، وأخذ كل منهم ما تقتضيه حاجته ومنزلته منها أكثر الناس من وضع الكتب فيها ، وصار المعنى بالتصنيف فيها إنما يقتدي على مثل السالف مُغيراً على معانيه ، مُغَيِّراً لألفاظه ومبانيه ، إلّا أننا لما طالعنا الكتب الموضوعة منها وجدنا أكثرها معدولاً به عن الطريق القاصد إليها ، لأنْ من الواضعين مَنْ اختصر وقَصَّرَ ، ومنهم مَنْ أسهب وكثر ، ومنهم من شغل كتابه بأجزاء من العلوم القائمة بأنفسها الموجودة في مظانها ، لما للصناعة من الشركة فيها ، وأخل بما هو من نفسها وهو أخصُّ بها ، ومنهم من اقتصر على ايداع كتابه رسوما لا تستعمل إلّا في دولةٍ بذاتها وبلاد بعينها فلا ينتفعُ بكتابه في غيرهما ، ومنهم من نصَّ على طريقةٍ قد صار عرفها وأمرُها امراً لوقوع الاصطلاح على هجرها والغائها والاستبدال منها بما هو أليقُ بالزمان والمكان وأهليهما ، ومنهم من استوفى الفن الذي بهر فيه وتدرب به وقصر في غيره من الفنون الأخر ، وهي من أجزاء الصناعة (٥) وأقسامها .

فرأينا لذلك ، وبالله التوفيق ، أن نصنف كتاباً جامعاً لأصولها وفروعها ورسومها المستعملة وأوضاعها وأقسام البلاغة وأنواعها ليكون علماً يُهتدى بناره ، ودليلاً يُسعى على آثاره ، وحاكماً يُتحاكم إليه ، ومحكّاً يعرض من اعتزى الى هذه الصناعة عليه ، وأشرنا الى ما لا بد للكاتب الكامل من معرفته من العلوم الأخر التي هي وإنْ كانت من أجزائها فانها تؤخذ من معادنها وتوجد في أماكنها ، لأنّ المتفردين بها قد فرغوا منها واستوفوا القول عليها ، فإنْ مَرَّ في أثناء الكلام شيءٌ من نصوصها فإنّما أتينا به تنبيها على القدر الكافي منها ، وإشارة الى موقع الحاجة في الصناعة إليه ، ونعتنا هذا الكتاب بموادِّ البيان ، لوقوع هذا النعت منه

موقع الحقيقة . والله تعالى نسألُ عوناً يُفرغهُ وتوفيقاً يُسبغهُ ، وهو مانٌّ بهما بفضله .

وهو عشرة ابوابٍ :

الباب الأول :

في حدِّ صناعةِ الكتابةِ وفضيلتها ومنفعتها وقسمتها ورسم الكتاب وعِلَّةِ وَضعهِ .

الباب الثاني :

في البلاغة وأقسامها الأصلية

(٦) الباب الثالث

في أقسام البلاغة الفرعية

الباب الرابع

في صناعة البديع وأبوابها

الباب الخامس

في ما يُخرجُ الكلامَ عن أحكام البلاغة

الباب السادس

في أنّ الطبع هو قوامُ الصناعة ونظامها واحتذاء مذاهب السابقين بكمالها وتمامها

الباب السابع

في اوضاع الخط وقوانينهِ وترتيب الصدور والأدعية والعنوانات والتاريخ والخَتمِ

الباب الثامن

في رسوم المكاتبات

الباب التاسع

في آداب الصناعة

(٧) الباب العاشر

في آداب السياسة

ونحنُ قائلون في كلِّ باب من هذه الأبواب ما يُبلِّغُ الى قاصيةِ الاقناع والاحساب ، والله الموفق للسداد والصواب بمنِّهِ ويُمنِهِ .

الباب الأول

في حد صناعة الكتابة وفضيلتها ومنفعتها ﴿وغرضها﴾ وقسمتها ورسم الكتاب وعلّةِ وضعه .

الحدُّ :(١) ما يدلُّ على ذات الشيء المحدود ويميزهُ عن غيره مما يحصره فلا يدخل فيه ما ليس منه ، ولا يخرج عنه ما هوله .

وأمّا الفضيلةُ فإن بظهورها وقيام الدلالة عليها تسلم الصناعة من المطاعن والمثالب وتخلص من المناقص والمعايب .

وأما الغرض فإن حصول العلم به يُسهِّلُ على الراغبين المشقة في الوصول الى الغاية .

وأما القسمة فليؤخذ في الأهم فالأهم من الأقسام ، ويؤخذ الطريق الى امتحان المعتزي الى الصناعة ، فإن لكلِّ صنعة دخلاء ينظمهم فيها اسمها ويخرجهم منها حدُّها ورسمها ، وأكثر ما يتوجه النقص على الصنائع التامة منهم ، لأنّ أكثر الناس يحكمون على الصناعة (٨) بوزن من حضرهم من أهلها وإن كان ناقصاً ، ولا يراعون الكامل فيجعلون التحدِّي به فيتوجه الغلطُ عليهم ، لأنهم ينسبون التخلُّف الذي في المقصرين الى الصنائع ، ولو أنعموا النظر لعلموا أنّ كمال الصناعة لا يوجد إلّا عند مَنْ تطرق من أوائلها الى أواخرها ، ومن صدورها الى أعجازها ، وإنّ من تعلق بالسبب الضعيف لا يجوز الحكم به عليها ، نعم ولا أن ينسب إليها ، وهذا موجود في جميع الصنائع المهنية وغيرها ، لأنا لا نسمي من عانى يسيراً من النجارة نجّاراً ، ولا من مارس حقيراً من البناء بنّاءً ، وكذلك لا نسمي من وصف دواء واحداً طبيباً .

وأمّا الرَّسمُ فإنهُ ينبيء عن الغرض بقول وخبر .

وأمّا عِلّةُ الوضع فإنهُ يدلُّ على السبب الذي لأجله وضع الواضع كتابه .

ونحن قائلون في ذلك بحسب الطاقة ، والله الموفق بكرمه .

القول على الحدِّ :

أمّا حدُّ صناعة الكتابة فإنها صناعة ترسم صوراً دالة على الألفاظ دلالة الألفاظ على الأوهام . وهذا الحدُّ وإن كان ظاهر لفظه يدلُّ على أن جملة الصناعة إنما هو رسم الصور الخطية ، فإنّه إذا تُدُبّر وُجِد مشتملاً على حواشيها محيطاً بكلِّ ما يقع فيها ، لأن الخط يَرب اللفظ وقَسيمه بل هو هو في الحقيقة ، لأنه لا سبيل الى رسم صوره الموضوعة للدلالة على الألفاظ إلّا بعد توسط اللفظ بينها وبين الأوهام القائمة (٩) في النفس ، حتى أن من يكتب وهو صامت لا بُدَّ أن يكون مشكلاً للفظ في نفسه قبلَ أنْ تنقله يده خطاً الى طرسه . وكذلك الناظرُ في الكتاب من غير جهرٍ لا بُدَّ له من حكاية اللفظ بضميره ليكون ذلك سبيلاً الى تمييز معناهُ وتحصيله . ولو اقتنع بالنظر دون تشكيل اللفظ لتعذر عليه ادراك غرضه ، وكان كالحائر في طريق . ولذلك قال صاحبُ المنطق : إنّ النُطق نطقان : نطقٌ داخل وهو صور المعاني القائمة في النفس ، ونطق خارج وهو الألفاظ المعبرة عن تلك الصور . فأطلق على صور المعاني اسم النطق ولا نطق فيها يقرع الأسماعَ ، وإذا انتظمَ الخطُّ ما ينتظمه اللفظ ، وانتظم اللفظ ما تنتظمه الأوهام ، فقد اشتمل الرسم على كلِّ ما تحيطُ به دائرةُ الصناعة ولم يخرج عنه شيءٌ مما هو فها .

القول على الفضيلة :

أما الكلام على فضيلة هذه الصناعة فإنها من الصنائع الظاهرة الشرف والجلالة ، الحائزة للسيادة والنبالة ، وذلك لاختصاصها بالقوة الانسانية وعودها بتمام الفضيلة التمييزية من قسميها العلمي والعملي ، لأنا إنما نُمَيِّزُ فاضل الصنائع من مفضولها بتأمُّل أحوالها . فما كان منها مختصاً بهذه القوة كصناعة الطب والنجوم فهو الفاضل ، وما كان مختصاً بالحِسِّ كالبناء والنجارة وما شابههما فهو المفضول .

وصناعة الكتابة مختصة بالقوة المميزة من قسميها العلمي والعملي .

(١٠) أما العلمي فهو البيان عما يخرجه الكاتب من الصور القائمة في ضميره بالقوة الى الفعل بالالفاظ البليغة والحساب الذي يبرزه من وهمه الى العقد .

والبيان والحساب مختصان بالقوة المميزة التي بها فُضِّل الانسان على سائر أنواع الحيوان ، لأنَّهُ إنما انحاز عنها وانفصل منها بالمنطق .

وكما أن بالتمييز وقع الفصل بين الانسان وأنواع جنسه فكذلك يجب أن يفصل به في الفضيلة والنقيصة بين أشخاص نوعه ، فمن علت طبقته في البلاغة والابانة حُكِم له بالفضيلة ، ومن انخفضت درجته فيهما حُكِم عليه بالنقيصة ، لأن أثر القوة المميزة في البليغ الألسن أظهر من أثرها في المفحم الألكن .

والطريق الى اعتبار ذلك أن تتأمل ألفاظ الانسان التي تخرج بها المعاني القائمة في نفسه بالقوة الى الفعل ، فإن كانت ألفاظا يطابقها ، ويقربها من الافهام ، ويشمر عنها سجوف الابهام ، ويجلوها في حلل الابانة وحلى البلاغة ، دلّ ذلك على تمكن القوة المميزة وجودة تحصيلها وصحة تمييزها ، وإن كانت ألفاظا معقدة دالة عليها دلالة بعيدة لايحصل حقيقتها من أول وهلة ، ولا يوضحها إلّا في زمان طويلٍ ومهلةٍ ، دلّ ذلك على ضعف القوة المميزة ورداءة تحصيلها وفساد تمييزها واختلاط الصور التي فيها ، وعجزها عن تفصيلها والحكم (١١) عليها من العبارة بما يوضحها .

فهذه الصناعة أخص الصنائع بالقوة الناطقة لأنها المفردة باستعمال الأشياء الخاصة بها التي هي تأليف الكلام المنثور ، وتقييده بالخط الحافظ له على تعاقب الدهور ، وعقد الحساب وحصر المعدودات به .

وقد كان حكماء اليونان يسمون علم البلاغة العلم المحيط ، وذلك لحاجة جميع الناس إليه ، وإنما فُضِّلَ الانسان على سائر الحيوان بالمنطق ، فأحق الناس بالرئاسة أبلغهم في منطقه ، وأوصلهم للعبارة بذات نفسه ، وأوضعهم لقوله في موضعه ، وأحسنهم اختياراً لأوجزه وأغربه .

وكما أن الحكمة أشرف الأشياء فكذلك ينبغي أن تكون العبارة عنها بأحكم المنطق وأوجز اللفظ وأبعده من الزلل ، وأنّ سماجة المنطق واللكنة والعي تذهب نور الحكم ، وتفسد المعاني ، وتورث الشبهة ، وتقصر عند الحاجة ، وتلتبس على المستمع .

فأمّا العمليُّ فهو الخطُّ ، وهو لاحقٌ بالمنطق في إيضاح المعاني وإبانة الأغراض والدلالة على المقاصد ، وهو مُعَبِّرٌ صامتٌ مُسِرٌّ ، وهو مع ذلك يفعلُ فعل الناطق المفصح والمعرب الموضح ، لأنه يدل على المعنى برسمه ، كما يدل عليه المتكلم بلفظه .

وكما أن أوهام الانسان تدلُّهُ على الصور القائمة في نفسه ، وألفاظه تدلُّ من يخاطبه على أوهامه ، فكذلك الخطُّ يدلُّ من بَعُدَ عن سماع لفظه دلالة الألفاظ .

(١٢) واللفظ يفضل الخطَّ بأنهُ دليلٌ طبيعيٌّ وآلته طبيعية ، وهي اللسان . والخطُّ دليلٌ صناعيٌّ وآلتُهُ صناعيةٌ ، وهي القلمُ .

ولما كان اللفظ في السيلان لا يلبثُ إلّا ريثما يقرعُ الأسماعَ ثم ينحلُّ على المكان ، وكان حفظُ المسموعات كالأمر العَرَضيِّ

إنما يُحتاجُ إليه في حراسة صور المحفوظات من مداومة الدرس ومطالعة المحفوظ وتعهده بالفكر والقراءة ، وكان النسيانُ كالأمر الطبيعي لما نجده من رجوع الانسان إليه عند إهمالهِ ما حفظه ، ألهم الله تعالى الانسان اقتضاب الخطِّ وأقدرهُ به على استكمال معنى النطق الذي خصَّهُ بفضله واستتمام قوته ، وأوجده بما هداه إليه من ذلك السبيل الى الفهم والافهام على تغاير الأحوال ، من قُرْبٍ وبُعْدٍ وغيبةٍ وحضورٍ . ولولا ذلك لما تمت منفعةُ النطقِ ، لأنَّه لو عُدمَ الخطَّ لم يُتوصَّل بالنطق إلّا الى افهام المخاطب القريب من الصوت المنفصل عن لسان القائل الى أذن السامع دون غيره ممن بَعُدَ عن سماع اللفظ ، ولتعذرَ على الآنفين الاطلاعُ على أنباءِ السالفين وآثار عقولهم في الفضائلِ والآدابِ ، ولم يصل إليهم منها إلّا ذِرْوٌ يسيرٌ مما تتحملُهُ الصدورُ ويؤديه الحفظُ ، ولم يكنْ وصولُهُ أيضاً على فصوصه ونصوصه لما يدخل عليه من التغيير والتبديل باضمحلال الشيء فالشيءُ مُنْهٍ عن الأوهام(١٣) التي تحضرُهُ والقوى الحافظة له .

فلما أنْعَمَ الله تعالى على الانسان بإلهامِهِ تقييد ألفاظِهِ بالرسومِ التخطيطية شملَ نَفْعُ هذه النعمةِ وعمَّ جميعَ مميِّزي الأزمنة . وذلك أنَّ العبارة التي يُتوصَّلُ بها الى الفهم والافهام حروفٌ يركبُها اللفظُ في حالِ المقارنةِ ، ويركبُها الرسمُ في حالِ المُباعدةِ ، وبهذا يرتبطُ جميعُ ما يدخلُ تحتها من المعاني للانسان ومعاصريهِ واللاحقينَ بهِ .

وإذا انقرضَ أهلُ عصرٍ نابتْ هذه الصورُ في الفضائل التي استنبطوها والمعاني التي استخرجوها والمعادن التي سَهَّلوا سبيلها إذا قُيِّدَتْ بها وأودعتْ فيها منابَ التشافه والملافظةِ وأغْنَتْ مغناهما . وهذه فضيلةٌ عامةٌ شاملةٌ تامةٌ كاملةٌ لا مزيد لفضيلةٍ عليها . ولهذا قال بعضُ المنطقيين في تحديد الانسان : إنَّهُ الحيُّ الناطِقُ المائتُ الكاتب .

وإنَّ الكتابةَ متى لم تدخل في حدِّهِ لم يقضِ له بالنطق التامِّ لعجزه عن إفهام مَنْ يبعُدُ عن سماعِ صوتِهِ .

ولولا أنَّ مَنْ لا يُحسنُ الكتابةَ يخدم بحسنها لنقص عن معنى الانسانية نَقصاً بيِّناً .

فإن اعترض مُعترضٌ بأنَّ هذه الصناعةَ وإنْ كانتْ في المنزلةِ اللطيفةِ والرتبةِ الشريفةِ ، وكانت نعمةُ الله تعالى بها جليلة الخطر عظيمة القَدْرِ فإنها موهبةٌ مشتركةٌ (١٤) لكلِّ مَنْ عبَّرَ عن ضميرهِ بلسانِهِ وخَطَّ بيدِهِ وعَقَدَ بأصابِعِهِ فقد نكب عن سنن الصوابِ في أغراضه ، وذاك أنَّهُ وإنْ كان لكلِّ مَنْ وصفَ نصيبٌ من تأليف الكلامِ ورسمِ الخطِّ وعَقْدِ الحسابِ ، فإنَّ شرف الصناعة وفضيلتها إنَّما تحصلُ للكتاب الذين يحوزون هذه الأوصاف على التمامِ . وإنما تقعُ في الحقيقة على الكاتبِ الجامعِ لآلات الصناعةِ وأدواتها المستقل بعملي التفصيلِ والترسيل دون غيره ممن يشارك الكُتَّابَ في استعمال بعض أجزاء الصناعة . وليس هؤلاء فقط يجبُ أنْ لا يُسمَّوْا كُتاباً بل وغيرهم ممن هو أقربُ منهم الى الكتابة ، من الشعراء والخطباء والوراقين وممن يحاذيهم ، لأنَّ لكلِّ طبقةٍ من هذه الطبقاتِ صناعةً قد تفرَّدَ بها ووقعَ اسمُها عليه .

فَصْـلٌ
في فضائلها المستنبطة من كتاب الله عزّ وجلّ

فأما فضائلها المستنبطة من كتاب الله عزَّ وجلَّ فإنَّ الله تعالى شرَّفها بإضافتها الى نفسِهِ ، وإنْ كانَ الحكمُ في إضافتها إليه سُبحانَهُ على غيرِ الحُكمِ في إضافتها الى خَلقِهِ ، فقالَ جلَّ وعزَّ : « وكَتَبْنا لهُ في الألواح مِن كلِّ شيءٍ مَوْعِظَةً وتفصيلاً لكلِّ شيءٍ »[٢] . وقالَ : « وكتبنا عليهم فيها أنَّ النفس بالنَّفْسِ »[٣] .

وقال : « ورهبانيةً ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا »[٤] .

(١٥) ونسبَ تعليمها الى نفسه فقال تعالى : « اقرأ باسم ربِّكَ الذي خلقَ * خلقَ الانسان من عَلَق * اقرأ وربُّكَ الأكرمُ * الذي علَّمَ بالقلمِ * علَّمَ الانسانَ ما لم يَعْلَمْ »[٥] .

وجاء في التفسير أنَّ هذه السورة مفتتحُ الوحي وأوَّلُ آيةٍ أنزلها الله تعالى من كتابِهِ على رسولِهِ ، صلى الله عليه وسلم .

وفي ابتداءِ الله تعالى فيما عدده من نِعمِهِ على الانسان بذكر القلمِ وتعليمه إيّاه به ما لم يعلم من قبلُ أظهرُ دليلٍ على عِظمِ رُتبةِ الخطِّ .

وقال في عيسى عليه السلام : « ونُعَلِّمُهُ الكتابَ والحِكْمَةَ »[1] . وأقسم تعالى بالقلمِ فقالَ : « ن والقلم وما يسطرون »[2] ، وبالكتابِ فقالَ : « والطور . وكتابٍ مسطورٍ . في رقٍّ منشورٍ »[3] .

والأقسام لا تقعُ منه سبحانه إلّا بشريفِ ما أبدعَ كالشمسِ والقمر والنجوم وما أشبهها بما به نظامُ الخلق واتساقُ التدبير . وإلحاقُهُ القلمَ والخطَّ بها في القسامةِ بهما واجراؤه إيّاهما مُجراها في ذلك مُنْبِئٌ عن شرفِ رُتبةِ الخطِّ ، وأنّه أصلٌ عظيمٌ من اصولِ منافعِ الخلق . وسمّى ، عزّ اسمُهُ ، ملائِكتَهُ كُتّاباً فقال : « وإنّ عليكم لحافظينَ كِراماً كاتبين »[4] . وقال : « أمْ يحسبونَ أنّا لا نسمعُ سِرّهم ونجواهم بلى ورُسُلُنا لديهم يكتبونَ »[5] .

وعظّمَ تعالى شأنَ الصحفِ والكتب فقال سبحانه : « كلّا إنّها تذكرةٌ . فمَنْ شاءَ ذكره . في صُحُفٍ مُكرّمةٍ . مرفوعةٍ مُطَهّرةٍ . بأيدي سفرةٍ . كرامٍ بَرَرَةٍ »[6] . (١٦) وقال تعالى : « إنَّ هذا لفي الصُّحُفِ الأولى . صُحُفِ ابراهيم وموسى »[7] . وقال : « هذا كتابُنا ينطقُ عليكم بالحقِّ إنّا كُنّا نستنسِخُ ما كنتم تعلمون »[8] .

وقال : « وكلَّ إنسانٍ ألزمناهُ طائرَهُ في عُنُقِهِ ونُخرجُ له يومَ القيامةِ كتاباً يلقاهُ منشوراً »[9] . ونظائرُ هذا كثيرٌ .

وسمى سبحانه ما أوحاهُ إلى رُسُلِهِ الكرام كُتُباً ، فقال في موسى وهارون : « وآتيناهما الكتابَ المُسْتَبِينَ »[10] : وقال : « ولقد آتينا بني اسرائيلَ الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ »[11] . وقال : « قُلْ مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نُوراً وهُدىً للناسِ »[12] .

وقال فيما أنزلَهُ على نبيِّنا محمد ، صلى الله عليه وسلم : « آلم . ذلك الكتابُ »[13] . « وهذا كتابٌ أنزلناهُ مباركٌ »[14] . والوحيُ لم يُنزل كتاباً ، ولكنّه لمّا أنزل كتاباً أشار سبحانه الى تمامِهِ وغايتِهِ ، لأن الأشياءَ إنما تُحَدُّ بتمامها وغاياتها .

والأشياءُ التي تَدلُّ ويُدَلُّ عليها أربعةٌ :

الأول الأعيانُ التي تقعُ عليها الأسماءُ .

والثاني : صورُهاالوهميةُ التي انتُزعتْ بها وانتُسِخَتْ عنها .

والثالث : الألفاظُ التي تدلُّ على هذه الصور وتُخرجها من القوّةِ الى الفعل المطلق .

والرابع : الرسومُ التي تُقَيِّدُ الألفاظَ وتحفظُها على ممرِّ الأزمانِ .

فالكتابةُ تمامُ قوّةِ النطقِ والمُبَلِّغُ به الى أكملِ غاياتِهِ ، ولذلك جعلها رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، عِقالَ العلومِ ، فقالَ : (قيِّدوا العلمَ بالكتابِ)[15] .

ومن شريف صفاتِها أنّ الله تعالى جَعَلَ عدم نبيِّه لها من أعظمِ دلائل النبوَّةِ (١٧) لتوصُّلِ الانسانِ بها الى تأليف الكلامِ المنثورِ وإخراجِهِ من الصُّوَرِ التي تأخذُ بمجامعِ القلوبِ ، وأقوى الحُجَجِ على تكذيبِ معانديه وحَسْمِ أسبابِ الشكِّ فيه[16] ، يدلُّ على ذلك قوله تعالى مخاطبا له ، عليه السلام : « وما كنتَ تتلوا من قبلِهِ من كتابٍ ولا تخُطُّهُ بيمينكَ إذاً لارتاب المُبْطِلُونَ »[17] .

ولما أعدمه هذه الصناعة عوَّضَهُ ما هو أجلُّ منها ، وهو رَفْعُ الارتياب في أمرِهِ وتنزيهه عن ظنّةٍ في . . فعدَمُ هذه الصناعة فيه فضيلةٌ وفي غيره رذيلة .

ولما كانت هذه رتبتُها في الصنائع صار السلطانُ الذي هو رئيسُ الناسِ ومستخدم أربابِ كلِّ صناعةٍ ومُصرِّفهم على أغراضِهِ ، يفتخرُ بأنْ تكونَ فضيلته له حاصلةً مع رفعةٍ عن التلبُّس بصناعةٍ من الصنائع الحِسِّيَّةِ واستنكافه أنْ يقعَ اسمٌ من أسمائها عليه . وذلك أنّا نرى كلَّ ملكٍ وسلطانٍ يُؤثِرُ أنْ يكونَ له حظٌّ من بلاغةِ العبارةِ وجودةِ الخطِّ . وفي رضى السلطانِ الذي يسودُ أهلَ نوعِهِ بالتحلّي بهذه الصناعة ما يدلُّ على أنّها أشرفُ الصنائع رُتبةً وأعلاها درجةً[18] .

فصـــل
من فضائلها المأخوذة من مراتب أهلها ومنازل أربابها

فأمّا مراتبُ أهلها ومنازلُ أربابها فقد عُرِفَ أنّ الذينَ وضعوها ورسموا رسومها هم الأنبياءُ عليهم الصلاةُ والسلامُ .

وفيما رواهُ نَقَلَةُ الآثار انّ أول مَنْ كتب بالقلمِ واقتضبَ الخطَّ آدمُ عليه السلام ، (١٨) وأنه وضع حسب ما علّمه الله تعالى لأهلِ كلِّ مِلّةٍ قلماً .

وقيلَ : إنَّ أولَ مَنْ خَطَّ بالقلم إدريس عليه السلام ، وإنّه إنّما سُمّي إدريس لدراسته الكتبَ المُنزّلة . وكانَ يُسمى الكاتب .

وقيل : إنّ اسماعيل بن ابراهيم ، عليه السلام ، اخترعَ القلمَ العربيَّ ، وكتب به ، ولم يُسبَقْ إليه[١١] .

فأمّا مَنْ تحلّى بها في الأيام الخالية والأعصر الماضية ، من ذوي الأخطار العالية في الدين والدنيا فكثيرٌ لا تُحصيهم إلّا أنّ أصحاب التواريخ ذكروا أنّ منهم : يوسف بن يعقوب ، عليه السلام ، وكان عزيزُ مصر استوزره ، وهو أوّلُ مَنْ اتخذَ القراطيس . وهارون بن عمران ويوشع بن نون وكانا يكتبان لموسى ، عليه السلام . وسليمان بن داود وكانَ يكتبُ لأبيه ، وقد ذكر الله تعالى بلاغتَهُ في كتابه بقوله : « إنّهُ من سليمان وإنّهُ بسم الله الرحمن الرحيم . ألّا تعلوا عليَّ وأتوني مُسلمينَ »[١٢] . وآصفُ بن برخيا وهو القائلُ في عرش سبأ : « أنا آتيكَ بهِ قبلَ انْ يرتدَّ إليك طرفُك[١٣] » ، ويوسف بن عنقا وكانا يكتبان لسليمان بن داود ، عليهما السلام . ويحيى بن زكرياء وكان يكتب لعيسى المسيح ، صلى الله عليه وسلم[١٤] . وبخت نصّر[١٥] وكان أحد كُتّاب سنحاريب[١٦] وغلبَ بعدَهُ على بابل وبيت المقدس والشام .

فأما من وقع عليه اسم الكتابة في الملة الاسلامية وبلغ الى المنزلة العالية من الخلافة والرتبة السنيّةِ من الامارة فكثيرٌ أيضاً . (١٩) ومنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وهو ذو القرابة ، والصهر له الشرفُ والسابقةُ . ومنهم عمر بن الخطاب ومعاوية بن أبي سفيان كانا يكتبان للنبي ، صلى الله عليه وسلم ومنهم زيد بن ثابت صاحب الفرائض ، كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم . ومنهم عثمان بن عفان ، وكان يكتب لأبي بكر ، وانتقل الأمر إليه . ومروان بن الحكم ، وكان يكتب لعثمان ، وانتقل الأمر إليه . وعبدالملك بن مروان ، وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان ، وانتقل الأمر إليه .

وفي كون واضعي هذه الصناعة من الأنبياء والمعتزين إليها من العظماء والخلفاء والسادات والرؤساء ما يدلُّ على علو خطرها وارتفاع قدرها .

وأما من قرع الذروة العالية من السيادة والسنام الباذخ من الرئاسة من أهل هذه الصناعة على تغاير الدول وتنقلها بين العرب والعجم ، فاشتهار آثارهم وانتشار أخبارهم يغني عن النص على أسمائهم ما تهيّأ لهم من المنازل التي نالوها بالاستيجاب والاستحقاق لا بالحظّ والانفاق ، والسعادات التي قُيّضتْ لهم ملوكاً فاضلين فولوهم في دولهم على ما تقتضيه الكفايات لا ما تقتضيه الأحاظي . قيل : (تسقط الحظوظ في زمن الملك الفاضل فلا يتسنّمُ الرتبة العالية إلّا موصوف بالفضيلةِ) . فسموا بالعلوم التي حلقت خواطرهم الى أعنانها ، وجالت أفهامهم في ميدانها ، وأثاروا غوامضها ودقائقها ، (٢٠) وعبدوا مذاهبها وطرائقها ، وما اقتضبوه من بليغ المكاتبات وارتجلوه من بديع السجلات ، في الهدن والعقود والتقاليد والعهود المشتملة على تمثيل الرسوم والاعمال والأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحمد والذمّ ، الى الرتب الجليلة الشريفة ، والمنازل النبيلة اللطيفة ، وحلوهم في أعلى طبقات الاكرام ، وأبعد غايات الانعام ، وفوزهم بموفور المنح الجسام التي أقدرتهم على تطويق الأعناق بالمنن وادخار الفعل الحسن .

ولعلم الملوك الحزمة بخطر هذه الصناعة وأهلها وعائدتها في أمور السلطان صرفوا العناية الى الكتبة ، وخصّوهم بالحظوة ،

WWW.ATTAWEEL.COM

وعرفوا لهم فضل ما جمعوه من الرأي والصناعة[٣٠] .

وكانت الملوك . . تقول : الكُتّابُ نظامُ الأمور ، وجمالُ المُلك ، وبهاءُ السلطان ، والألسنةُ الناطقة عنه ، وخزان أمواله ، والأمناء على رعيته وبلاده ، وهم أغنى الناس عن الملوك والرعية ، وأولاهم بالحباء والكرامة ، وأحقُّهم بمحبَّة السلامة[٣١] .

وأعظم الناس حقاً على جميع الطبقات من ولي أسرار الملوك وأمورهم الخاصة .

وقالوا : للكاتب على الصاحب ثلاثُ خصال : رفعُ الحجاب عنه ، واتهام الوشاة عليه ، وافشاء السر اليه .

وكانو يجمعون أحداث الكتاب ونواشئهم المتعرضين لأعمال الملك ، ويتقدمون الى رؤساء الكُتّاب بامتحانهم والفحص عن عقولهم ، فمن رضي أُقرَّ (٢١) بالباب ليُستعان به ، ثم يأمرُ الملك بضمهم الى العمال ، وينقلهم في الخدم من حال الى حال حتى ينتهي كلُّ واحدٍ منهم الى ما يستحقُّه من المنزلة . ولم يكن يتهيأ لمن عرض نفسه على الملك ان يخدم أحداً من الناس إلاّ بأمر الملك وإذنه[٣١] .

وكانوا إذا نفذوا جيشاً قرنوا بقائده وجهاً من وجوه الكتاب وأمروه أن لا يحلُّ ولا يعقد إلاّ برأيه تعويلاً على فضل رأي الكاتب وحزامته .

ولم يكنْ يركبُ الهماليج في أيامهم إلاّ الملكُ والكاتبُ والقاضي[٣٣] .

وكانوا يقولون : ينبغي أنْ تفرّغ أذهانهم لما يُمضُونه على الناس.وفي عهد سابور[٣٤] : (ووزيرك فليكُنْ مقبول القول عندك ، رفيع المنزلة لديك ، يمنعه مكانه منك وما تثق به من لطافة موضعه عندك من الضراعة لأحد والمداهنة في شيء مما وليته لتبعثه الثقةُ بك على محضِ النصيحةِ لك ، ومنابذة من أراد غِشَّك وانتقاص حقَّك[٣٥] . وإنْ أورد عليك رأياً يُخالفُك ولا يوُافقُ الصوابَ عندك فلا ترده عنك[٣٦] بالتجهُّم فينتفض عن اتيانك بكلِّ رأي يلوحُ له ، ولكن اقبل ما رضيت ، وَعَرِّفه ضرر ما سخطت ، لينتفع وزراؤك بأدبك فيما يستقبلون النظر فيه . واحذر كلَّ الحذر أن ينزل سواهم عندك هذه المنزلة ، وأن يسهل لغيرهم سبيل الانبساط بالنطق عندك ، والافاضة في أمور مُلكِكَ ورعيتِك ، فإنَّهُ لا يُوثقُ بصحة آرائهم ، ولا يؤمنُ انتشار ما وصل (٢٢) من الأسرار إليهم) .

وكانت الفُرسُ تقول : ينبغي للملك أن لا يكون عنده آثرُ من وزيرٍ صالح العقل والرأي وافر الأدب بصيرٍ بالأمور ، فإذا ظفر به فلا يبعده ولا يقصيه ، على أنّ الفاضل الطبع لا يمنعُ نصحهُ وإن خُفي .

وأمّا فضائلُها المأخوذة من . . في أُمور الممالك والدول والسلاطين والملوك المؤهلين لسياسة العباد وعمارة البلاد فهم الذين يزنون الأمور بزنتها ، ويقوُمون الأشياء بقيمتها ، ويرتّبونَ كلَّ طبقةٍ من الطبقات التي تشتمل ممالكهم عليها في الموضع الأخصِّ بها ، ويُرقُّونها الى الدرجة التي تستوجبها بكفايتها وعائدتها في مصالح السلطان ورعيّته ، فمَنْ قَرُبتْ منهم منزلتُهُ ، ولطفت عندهم حالتُهُ من كُفاةِ أعمالهم وحملة أثقالهم ، فهي أفضلُ الصنائع وأعودها بانُّساقِ الأمور وانتظام التدبير .

وليس في متولي خدم السلطان والمتصرفين في مُهماتِهِ أخصّ من الكتاب به ، لأنهم دون جميع الناظرين في أمور الدولة خاصة الملك وبطانته ، والمنفردون بالاطلاع على سرائره والعلم باخباره . وأخصُّهم كاتبُ الرسائلِ ، فإنَّهُ أوّلُ داخل على الملك وآخرُ خارجٍ عنه ، ولا غنى له عن مفاوضته في آرائه والافضاء اليه بمُهماته وتقريبه من نفسه في آناء ليله وساعات نهاره وأوقات ظهوره للعامة وخلواته واطلاعه على حوادث دولته ومهمات مملكته ، (٢٣) فهو لذلك[٣٧] لا يثقُ بأحدٍ من خاصته ثقته به ، ولا يركنُ الى قريبٍ ولا نسيبٍ ركونه إليه[٣٨] ، ومحله منه لما ذكرناه من عائد خدمته وأثره في دولته محلُّ قلبه الذي يؤامره في مشكل رأيه حتى يتفتح ، ويراجعه في مُهمٍّ تدبُّرِهِ حتى يتوضح ، ولسانه الذي يقرُّ بترغيبه أولياءه على الطاعة والموافقة ، ويستقي بترهيبه أعداءه عن المعصية والمشاقة ، ويقرر بأوامره ونواهيه أمور سلطانه في متوطد منازلها ، ويحلُّها في متمهد محالها ، ويتمكنُ من سياسة أجناده وعمارة بلاده ومصلحة رعيته ، واستجلاب مودَّتهم واستخلاص نياتهم ، وعينه التي تلاحظُ أعوان سلطانه وترعى مهمات شأنه ، وسمعه الذي يثقُ بوعيه ولا يرتابُ بما سمعه ، ويده التي يبسطها بالانعام ويبطشُ بها في النقض والابرام .

ومن كانت هذه رتبته فالسبب الذي رتّبه فيها أفضلُ الأسباب وأجدرها بالتقديم على الاستحقاق والاستيجاب[٣١] .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ لأنه قد عُلِمَ أنّ الصنائع كُلَّها معاونٌ ومرافقٌ لا تنتظم عمارة العالم إلّا بها . وهي على ضربين : خاصية وعامية .

فالعامية صنائع المهن وأهلُ الأسواق والحرف ، وإن شاركهم الخاصةُ في الحاجة اليها ، لأنّ بها تنتظمُ أمورُ المعاملات ، وهم عمارةُ البلاد .

والخاصيّةُ هي التي تقع في حيِّز الملوك والسلاطين ، ويتوزعها أعوانهم وأتباعهم .

(٢٤) وهذه الصنائعُ إنما يقعُ التميزُ بين أقدرها بأنْ يُنظرَ الى مقدار عائدتها في أمور الملك والسلطان والرعية ، فما كان مُعلقاً بالأمر الأهمِّ وكانت الحاجةُ اليه ألزم ، وقدر المنفعة به أجسم ، والفسادُ العائدُ بوقوع خللٍ فيه على أسباب المملكة أعظم ، فرتبته في الصنائع الخاصية أشرفُ وألطفُ .

وليس من الصنائع صناعةٌ تجمعُ هذه الفضائل إلّا صناعةُ الكتابة ، لأنّ الملك محتاجٌ في انتظام أمور سلطانه الى ثلاثة أشياء لا ينتظم ملكه مع وقوع خلل فيها :

أولها : رسمُ ما يجبُ أنْ يُرسم لكلٍّ من العمال والمكاتبين عن السلطان في الأمور والأعمال المنوطة بهم ، ومخاطبتهم بما تقتضيه السياسة من أمرٍ ونهيٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ووعدٍ ووعيدٍ وحمدٍ وذمٍ .

والثاني : استخراج الأموال من وجوهها واستيفاء الحقوق السلطانية .

والثالث : تفريقُها في مُستحقيها من أعوان الدولة وأوليائها الذين يحمون بيضتها ، ويسدون ثغورها ، ويحفظون أطرافها ، ويذبون عنها رعاياها ، وغير ذلك من وجوه النفقات الخاصة والعامة .

وهذه أعمالٌ لا يقومُ بها إلّا كُتّابُ السلطان ، لا سبيل للكُتّاب الى الكفاية[٣٢] فيها إلّا بالتبريز في صناعة الكتابة . فهي إذاً من أشرف الصنائع لعظم عائدتها على السلطان وأسبابه[٣٣] .

وفضائلُ هذه الصناعة أكثرُ من أن نُحصيها ونُعدِّدها ، (٢٥) وفيما أثبتناهُ دلالةٌ على ما ألغيناهُ ، وهو كافٍ في إبانة فضلها على سائر الصناعات الخاصية الملوكية ، وأنّ لها رُتبةَ الفضيلة والتقدم الحقيقي .

القولُ على المنفعة :

أمّا منفعةُ هذه الصناعة فظاهرةٌ متجلّيةٌ ، عامّةٌ شاملةٌ ، لتسميمها قوّة النطق التي هي معنى الانسانية ، وبلوغها به الى أبعد غايات كماله كما ذكرنا فيما سلف ، وكونها من المرافق المشتركة التي[٣٤] لا يخلو خاصٌّ ولا عامٌّ من الأخذ بحظٍّ منها ، لحاته وضرورته الى استعمالها ، ولقيامها بمصالح الملوك الذين هم نظامُ الأمور وقوام الجمهور ، ووقوع الاضطرار الى المُتحلّينَ بها من الكتاب لتوسُّطهم بين طبقتي السلاطين والرعية ، لأن كلاً من هاتين الطبقتين في الطرف الأبعد من الأخرى ، وقوام كلٍّ واحد منهما بأن يتصل بصاحبه ، ولا سبيل الى اتصالهما بأنفسهما مع تباينهما ، وإنما يتم ذلك بحصول طبقة ثالثة مساهمة لهما في خواص أفعالهما ، آخذة من أخلاقهما بنصيب لتؤدي عن كلّ طبقةٍ الى الأخرى ما يصلها بها إذ لا يصل بين الطرفين المتباعدين إلّا بمتوسط بينهما آخذ من كل منهما بمجاورته له .

وليس من طبقات الناس من حصل في هذه الرتبة ، أعني رتبة التوسط بين الملوك والسوقة ، فساهم الملوك في كبر الهمة وجلالة الخطر ، وساهم العامة في التواضع والاقتصاد ، سوى الكُتّاب ، ولذلك جعلت إليهم السفارة في مصالح الرعية (٢٦)

عند السلاطين ، واستيفاء حقوق السلاطين من الرعية ، والتلطف في الصلة بينهما[٤٣]، فالحاجةإليهم صرورية ، وسنستوفي القول في هذا المعنى .

أعلم أن جميع الصنائع وسائل الى درك المطالب ونيل الرغائب ، وأن عوائدها تتفاضل في الكثرة والقلة بحسب تفاضلها في الرفعة والضعة ، إذ كان منها ما لا يفي بالبُلغةِ من قوام العيش نحو الصنائع المهينة السوقية الداخلة في المرافق العامية ، ومنها ما يوصل الى الثروةويتجاوزحدَّ الكفاية ويحظى بالمال الدثر والنعم الخطيرة ، وهي الصنائع الخاصية .

وإذا تؤمل ما هذه صفته منها علم أنه ليس منها ما يلحقُ بصناعة الكتابة ولا يُساويها في هذا النوع ، ولا ما يكسب ما تكسبه من الفوائد والمعاون مع حصول الرفاهية ومجانبة التبذُّل والتنزه عن دنايا المكاسب ، ولا ما يوصل الى ما توصل إليه من الحظوة ورفاغة العيش ومشاركة الملوك المستعبدين للكافة في المساكن الفسيحة والملابس الرقيقة والمراكب الميلة الجميلة والدواب الفرهة والخدم والحشم وغير ذلك من الآلات والأدوات الملوكية .

ومن العجب أن صاحب هذه الصناعة ينتهي الى الحال التي ذكرنا ، ويحصل الفوائد التي عددنا على أكثر الأحوال في أقرب المدد وأقل الأزمنة[٤٤] ، فإن كان ما يصل إليه من ذلك أمراً يتحمله رئيسه له ، لعلمه بخطر صناعته (٢٧) وعنايته في خدمته ، واستنجابه لتنويله ما نوّله بكفايته . وناهيك بذلك من فضل هذه الصناعة وشرفها [وارتفاع خطرها وسحر قدرها إذ كان لها سعة لمثل هذه الجدوى التي لا يوجد مثلها في غيرها من الصنائع][٤٥] ، وإن كان ما يخلص اليه من الاكتساب والمرافق أمراً يوصله اليه استقلاله بصناعته ويقدره عليه تبريره في معرفته ، حتى ينتهي الى الحال التي وصفناها ، من غير خيانة للسلطان ولا إشكاء للرعية ولا تطرق بيعة في دين ولا دنيا . فإن اعترض بمن يقعد به الجدُّ ويتخلف عنه الحظُّ من أهلها ، فلسنا نقول إن ما وصفنا به هؤلاء القوم مطردٌ في حقهم ولا لازمٌ في كافهم . وكيف ذلك والأقدار تعترضُ دون الأوطار ، وتجري بحرمان الكافي المشمِّر ، وتنويل العاجز المُقصِّر . لكن الذي جرت العادةُ به أن يؤخذ الاعتبار مما يكثر وقوعه .

على أن المُبرِّز في هذه الصناعة إن قعدت به الأيامُ في حالٍ ، فلا بد أن تنهض به في اخرى ، لأنّ دولة الفاضل من الواجبات ، ودولة الجاهل من الممكنات[٤٦] ، ولا نسبة بين الواجب والممكن .

ومما يتصلُ بالقول على هذا الفصل أنه ما من أحد يتوسلُ الى السلاطين بالأدب ، ويمتُّ إليهم من العلم بسبب ، إلاّ وهو نافلةٌ لا ينوّل ما ينوّله إلاّ على وجه الارفاقخلا الكاتب ، فإنه يُنول الرغائب العظيمة من طريق الاستحقاق لموضع الافتقاد اليه والحاجة[٤٨] الحادثة عليه .

وهذا كاف في الدلالة على منفعة هذه الصناعة وجلالة عائدتها .

(٢٨) القول على الغرض

كلّ صانع يعاني صناعة من الصنائع فلا بُدَّ له في معاناة تلك الصناعة من مادة جسيمةتظهر فيها الصورة وآلة تصور بها ، وغرض يقطع الفعل عنده ، وغاية تستثمر من صنعته ، وقد استعمل بعضهم الغرض في مكان الغاية ، وبينهما فرقٌ ، وهو أن الغرض هو الحدُّ الذي يقطع كل فاعل الفعل عنده ، والغايةُ هي الشيء المستثمر المجتنى من ذلك الفعل ، فلذلك مادتان : إحداهما لطيفة روحانية وهي الألفاظ التي يحلها[٤٩] الكاتب في أوهامه ويصوِّر من ضم بعضها الى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه بالقوة ، والأخرى مادة جسمانية[٥٠] ، وهي الخطُّ الذي نخطه بالقلم وتقيدُ به تلك الصور[٥١] فتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة[٥٢] .

وأما غرضها الذي ينقطع الفعل عنده فهو تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية ، لتكمل قوة النطق ، وتحصل فائدته للأبعد كما تحصل للأقرب ، وتصل الى الغابر كما تصل الى الحاضر ، وتحفظ صوره ويؤمن عليه من التغير والتبدل والتفلّت .

وأما غايتها ، وهي الشيء المستثمر منها ، فإن بها ينتظم جمهور المعاون والمرافق ، العظيمة العائدة في أحوال الخاصة والعامة ، الجسيمة العائدة في أمور الدين والدنيا .

وهذا أمرٌ ظاهرٌ للعقل داخل تحت الحس ، يستغنى فيه بالايجاز عن الاسهاب(٢٩) وبالاجمال عن الاطناب لأننا إن أخذنا نعدد جميع الأشياء المجتباة منها طال القولُ وامتدَّ ، واحتجنا الى ايراد كل ما تنتظمه الصناعة ، مما قد تقسمته وتوزعته رتبه ومنازله من كتابنا هذا .

والصنائع كلها وإن كانت مفتقرة في كمالها الى وجود المادة والآلة والغرض والغاية ، فليست هذه الأربعة فيها بمتكافئة في الشرف والفضيلة ، لأن من الصنائع ما يشرف بمادته وآلته ، وغرضه وغايته ، كصناعة الطب ، فإن مادتها أجسام البشر الذين هم أفضل الجنس الحيواني ، وآلتها الأغذية الحافظة للصحة الحاسمة للمرض ، وغرضها الصحة للبدن ، وغايتها حفظها على حال الصحة .

ومن الصنائع ما يشرف ببعضها دون بعض ، وصناعة الكتابة تشرفُ من كلّ وجهٍ .

أما مادتها فقد قلنا إنّ لها مادتين وهما : اللفظُ والخطُّ ، وهاتان المادتان من الشرف والفضيلة كما تقدم ، لتقاسمهما البيان وتشاطرهما الدلالة على المعاني وخدمة النطق الذي هو خاصة الانسان .

وأما آلتها التي هي القلم فقد أنبأ الله تعالى عن جلالتها وشرفها بإقسامه بها وإضافته تعليم ما يخطه الى نفسه ، وما لقائل أن يقول : إن القلم براعة لا تستحق هذا التفخيم ، لأن اللسان مضغة من لحم ، وقد جعله الله تعالى أداة لتقديسه وتمجيده وتوحيده وابراز ما(٣٠) في الافهام بالقوة الى الفعل وتكميل فضيلة المنطق ، والأشياء إنما تُقدَّرُ بغاياتها لا بجواهرها .

وأما غرضها الذي هو تقييد ما تبرزه الخواطر من أوهامها حتى تتساوى في علم من حضر وغاب وبعد وقرب ، فغرضٌ شريفٌ جليل العائدة نبيل الفائدة .

وأما غايتها المُجتباةُ منها ، وهي(٣١) تعدُّ أشرف موقعاً وألطف موضعاً لانتظامها بتعاظم المعاون والمرافق التي لا تستقيم أمور الملوك والسوقة إلاّ بها ، فغرضٌ يبرز الصناعة من أنفس الأغراض وغايتها من أجل الغايات .

القول على القسمة :

هذه الصناعة تنقسم أقساماً كثيرة ، وترجع الى أصلين :

أولهما : أولاهما بالتقديم والتفضيل ، وهو الانشاء والترسيل .

والثاني : الحساب والتفصيل ، وإنما يُميزُ الأصلُ الأول على الثاني لما تفيده الزيادة من قوة التمييز وجودة الروية وثبوت الفطنة ، واشتماله على البيان الدال على المعاني ، وهو أقدمُ من الحساب لأن المتولي لعمل هذا الأصل هو الذي يُمثل لكل عامل من عمال السلطان ما يجب أن يجري عليه في عمله ، فهو بهذا الحكم حائزٌ للقسمين ماهرٌ فيهما .

وكاتب الترسيل يحتاج الى التصرف في المعاني المتداولة ، والعبارة عنها بألفاظ غير الألفاظ التي عبر بها من سبق الى استعمالها ، يحفظ صورها ويؤديها على حقائقها . وفي هذا من المشقة ما لا خفاء به على من مارس الصناعة ، ولا سيما إذا (٣١) طلب الزيادة والابراز على من تقدمه في استعمال تلك المعاني ، أو حذا حذو رسوم بعض المبرزين الذين يتخللون الكلام ويوقعونه في مواقعه في غاية من الرشاقة والحلاوة ومناسبة المعنى .

ويحتاج أيضاً الى اختراع معانٍ أبكار في الأمور الحادثة التي لم يقع مثلها . ولا سبق سابقٌ الى المكاتبة فيها لأنّ الحوادث السلطانية لا تتناهى ولا تقف عند حدٍّ .

ولاختصاص متولي هذا العمل بالسلطان ، وقرب منزلته منه ، وإعظام خواصه له ، واعتمادهم في المهمات ونيل الأمل وبلوغ الأوطار عليه ، ولأنه متى صان نفسه ولزم الطريقة المشاكلة لمنزلته كان أجدر بالسلامة عن سائر أرباب الأقلام الذين يتصرفون في الأموال والأمر .

وفي تقدم الأصل الأول على الأصل الثاني ما هو أوضح من أن نتكلف(٣١) فيه بياناً أو نقيم عليه برهاناً . على أنّ الأصل الثاني عظيم المحل في الدولة وأمور السلطان . وسنستوفي القول في الفائدة به وبالمبرزين فيه في كتاب الخراج إن شاء الله تعالى .

واعلم أن صناعة تأليف الكلام تنقسم على ثلاثة أنواع هي كالجنس لها ، وهي : الكتابة والخطابة والشعر . ومن ها هنا وقع التناسب بينها . ولكل منها رتبة من الشرف والفضل ، إلّا أن صناعة الكتابة ترأس صناعة الخطابة ، وصناعة الخطابة ترأس صناعة الشعر .

وإن عددنا جميع الأشياء التي تتميز بها الكتابة على هاتين الصناعتين طال الكتاب وأفضينا (٣٢) الى الاسهاب ، غير أنا نأتي من ذلك بما يقع عليه إبانته من تقدمها عليهما بالقول الموجز فنقول : إن صناعتي الخطابة والشعر وإن كانتا متوفرتي الحظ من الفضل والشرف غير بالغتين مدى صناعة الكتابة ، ولا مجاريتين لها في دوام الحاجة اليها وقدر الانتفاع بها وكثرة غنائها في أسباب الملك والسلطان ، وذلك أن الخطيب إنما يحتاج اليه في الأحيان المتباعدة مرة ليقوم على رؤوس الأشهاد في المجالس الحافلة ، مُزَيِّناً لها بما يقضي حق المشهد ، ولا يتجاوز ما يودعه خطبته فنا واحدا من فنون الكلام ، وهو الدعاء والثناء والوعظ والحض(٣٣) على لزوم الطاعة والتحذير من المعصية .

والشاعر إنما يُحتاج إليه أيضاً لتزيين مثل هذه المجامع بما يورده من كلام موزون مقصور على المدح والاطراء ونحوهما . ومجالها أضيق من مجال الخطيب لحاجته الى إقامة الوزن .

وأين يقع هذانِ النوعان من الرسائل التي ينشئها الكاتب في أنواع المعاني الصادرة عن الملوك والسلاطين في سياسة الملك ومخاطبة الخاصة والعامة ، ككتب البيعة التي بها تنعقد إمامة الأئمة وتستقر خلافة الخلفاء ، وهم عماد الدين والدنيا ، وسياسة العباد والبلاد ، وبوقوع الاجماع عليهم تمضي الأحكام في النقض والابرام ، وكتب الهدن المشتملة على الشروط القاضية بحقن الدماء وسكون الدهماء واصلاح ذات البين (٣٣) واتصال العمارة واستمداد المرافق والمعاون التي يُستعانُ بها على مصالح الدولة والملة ، من الأسلحة والعدد وآلات الحرب وغيرها مما يرهف الشوكة ويقوي المنن ويعود بالجمال ، وكتب تقاليد الوزراء والقضاة والعمال والنظار في الأموال الذين هم أركانُ الدول وقواعدها ، وبهم تنتظمُ عقودُها . ثم إنا نجد الحاجة الى الكاتب في كل وقت من ساعات النهار وآناء الليل وأحيان الحركة والاستقرار والسلم والحرب ضرورية وليست داخلة في باب الرتبة التي يقع الغناء عنها كالخطيب والشاعر اللذين إنما يُعدانِ ليزينا وقتاً بعينه .

وإن اعتبر فضل ما بين هذه الصناعة والصناعتين الأخريين من طريق المرفق والجدوى ظهر أنّه لا نسبة بين ما يحصل عليه الكاتب من الحظ وبين ما يحصل عليه الخطيب والشاعر من طريق البر والصلة والرغبة في حسن السمعة ، هذا على استمرار ما يُجبى به الكاتب وانقطاع ما يُجبى به الخطيب والشاعر .

وإن اعتبر أيضاً فضلُ ما بين صناعة الكتابة وصناعتي الشعر والخطابة برتب أهلها علم أن الكتاب هم أهل التقدمة وذوو الحظوة والرتبة والمنزلة العالية ، وأنّ مفالق الشعراء خُدّامُهم ومتعرضون لصلاتهم ، وبَيْنَ مَنْ يُعطي

ومَنْ يأخذ ومَنْ يصلُ ومَنْ يوصل بونٌ بعيدٌ وفرقٌ واضحٌ .

وإن اعتبر عناءُ الترسيل والشعر في الأمور (٣٤) التي يُستعمل فيها الكلامُ المؤلف عُلِمَ أنَّ الشعر لا يُغني فيما يغني فيه الترسيل ، لأنه لو كتب كاتبٌ في حادث من الحوادث السلطانية الى صنف من أصناف الرعية ، عوضاً من رسالة يتضمنها الغرضُ الذي[٣٣] تقتضيه تلك الحادثة ، قصيدة تشتمل على مثل ذلك المعنى لما جاز ولا حَسُنَ في رسوم السلطان ، ولو شاء أن يُودِعَ ما يودعه الشاعر قصيدته من جميع سائر أنواع الشعر رسالة لما قبح ذلك ، فالترسيلُ يشاركُ الشعر في جميع وجوهه ، من مدحٍ وهجاءٍ وسلوى واجتداءٍ وشكرٍ وثناءٍ وهناءٍ وعزاءٍ ، ويأخذ منها بالحظِّ الأوفى .

ومما أوردناه كفاية في الدلالة على استحقاق صناعة الرسائل التقدُّم على الصناعتين الأخريين اللتين يقاسمانها استعمال الكلام المؤلَّف .

فأما ما تفضل به صناعة الخطابة على صناعة الشعر فإن الخطابة من الصنائع المتعلقة بأسباب الدين والسلطان ، إذ الخطبةُ شطرُ الصلاة ، والمشتملة على المواعظ الوازعة والذكرى النافعة المنبهة للساهي الغافل ، الموقظة للاهي الذاهل ، العائدة بترقيق لقلوب وكشف ما غشيها من زين الاغترار والاخلاد الى هذه الدار ، والحض على الاستعداد لمنزل القرار ، وغير هذا مما كانت لخلفاء تتخوَّل به الرعايا اقتفاءً لسُنَنِ الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فإن خطبه كانت تنوبُ مناب الوحي إذا تأخرت موادُّه .

وإذا اعتبر فضل ما بين الخطابة والشعر (٣٥) بفضل ما بين الخطباء والشعراء عُلم أن التقدُّم للخطباء على الشعراء .

قال : لأن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أوَّلُ من يعزى الى الخطابة ، وخُطبُهُ أفضلُ الخطب ، وقد حاز رُتبة الخطابة على أكمل حدودها وأتم رسومها .

فأما الشعرُ فإن الله تعالى نزهه عن نظمه بل عن إنشاده ، فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له »[٣٤] . وقال : « وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تؤمنون »[٣٥] .

ثم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهو بعد الرسول الخطيبُ المِسْقع[٣٦] ، وخطبه أجزل الخطب وأجمعها للفوائد والمواعظ .

ثم الخلفاء الذين خلفوا في الاسلام ، فإنهم كانوا يوصفون بالخطابة ولا يوصفون بالشعر ، لترفعهم عن الاتسام بسمته .

ومما تنفضل به الخطب الشعر أيضاً أن الخطب كلامٌ مبني على الصدق والارشاد الى الخير ، وأما الخطبُ الجاهليةُ التي كان خطباءُ العرب يقومون بها في الأندية والمحافل فمقصورةٌ على الأمر بالصلاح والاصلاح ، والتحضيض على التبارُّ والتعاطف ورفض التباغض والتقاطع ، وصلة الرحم ، ورعاية الذمم ، ونحو هذا[٣٧] .

وأما الخطب الاسلامية فلا حاجة بنا الى ذكر ما تشتملُ عليه من وجوه الخيرات ، وما تتضمنه من تمجيد الله تعالى وتوحيده والثناء عليه ، والصلاة على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، والترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا ، وقدح الهمم في طلب الثواب ، والورع عن (٣٦) احتقاب ما يوجب العقاب .

والشعر إنما بني على معان أكثرها مستحيلٌ ، وأقوال جُلُّها كذبٌ ، لا سيما الشعرُ الجاهلي الذي هو أفضلُ الأشعار ، فإنَّهُ يشتمل على قول البهتان ، وشهادة الزور ، وسبِّ الأعراض ، وقذف المحصنات ، والقدح في الانساب الصريحة ، وقبح الهجاء ، وما يُجاري هذا مما يجبُ التنزه عن الخوض فيه والتصون عن اطلاق اللسان به .

وهذا كاف فيما رمنا إبانته من فضل الخطب على الأشعار .

وأما ما يشرفُ به الشعرُ غيره من الكلام فبوزن الأجزاء وتساوي الحروف وطول بقائه على أفواه الرواة ، فإنه لا شيء أبقى على الدهر من الشعر ، لتمكن القوة الحائطة بارتباط أجزائه ، وتعلق بعضها ببعض من تقييده ، لأنهم مجمعون على أن أبقى

سيرهم وأخبارهم ما اشتملت عليه الأشعار ، وهذه فضيلة جليلة الخطر ، لأن بقاء الشيء وطول مدته من أشرف فضائله .

ومنها : اشتهاره واستفاضته ، لأنه لا شيء أشهر من المعنى الجيد، وهو جارٍ مجرى الأمثال . وقد قيل : لا شيء أسبقُ الى الأسماع من بيتٍ نادرٍ ومثلٍ سائرٍ .

ومنها : تزيينه مجالس الملوك الحافلة بالثناء عليهم وتعديد محاسنهم .

ومنها : ما يحصلُ عليه الشاعر المجيد من الحباء الجسيم الذي يستحقه بحسن موقع ألفاظه ومعانيه من النفوس وما يحدثه فيها من الأريحية .

ومنها : عمارته لمجالس الأنس التي لا تعمر إلّا بإنشاد (٣٧) الأشعار ورواية الأخبار .

ومنها : قبوله لما يركب عليه من الألحان المطربة المؤثرة في الأنفس اللطيفة والطباع الرقيقة .

ومنها : أن ألفاظ العربية وشواهد القرآن وغيره من الكلام العالي ككلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، إنما يُستنبطُ منه .

ومنها : معرفة أمثال العرب وحكمها وعلم تواريخ أيامها ووقائعها .

فقد وضح بذلك غاية رتبتها في الفضل ، وأن المُجيِّ السابق صناعةُ الرسائل ، والمُصلِّي اللاحق صناعةُ الخطب ، والمُسلِّي التابع صناعة الشعر[١٠] .

وذهب قوم لما عددناه من محاسن فضائل الشعر الى تفضيله على الرسائل ، وتابعهم على ذلك من أصغى هواه الى أهويتهم وضعف نقده عن إعطاء الأشياء حقها من التأمل واستعمال النظر الشافي في المقايسة والتمييز ، واستعملوا المغالطة في تقديم النظم ، فنقول وبالله التوفيق :

إن الشعر وإن كان في المنزلة التي أشرنا اليها فإنه هابطٌ عن درجة الرسائل هبوطاً بيِّناً لا يخفى عن ذوي المعارف المميزين ، ويدل على ذلك خبر امرىء القيس مع أبيه حجر حين هم بقتله لما سَمِعهُ بعد أن نهاه عن قول الشعر يترنم في مجلس شرابه بقوله[١١] :

اسقيا حُجْراً على عِلاّتِهِ
من كُمَيْتٍ لونُها لونُ العلقْ

وما رواه الرواة من حديث النابغة الجعدي ، وأنه كان سيِّداً في قومه لا يقطعون (٣٨) امراً دونه وأن قول الشعر حطَّ رتبته[١٢] .

ولا يضاع الشعر في نفوس سادات العرب وملوكهم نزه الله تعالى رسوله عنه ومنعه منه ، وليس إعدامه الشعر كإعدامه الخط ، لأن الذي جاء به ليس بشعر فيقع الارتياب فيه إذا كان يقول الشعر ، لأنه لا يجوز أن يبعث الله تعالى رسولاً يريدُ أن ينقاد الناسُ إليه بما ينقص من قدره في أنفسهم .

ولو كان الشعر أعلى رتبة من النثر لم يجز أن يتحدى الله تعالى العباد إلّا به ، لئلا يكون قد تحداهم بما يوجدُ أبلغ منه ، لكنه سبحانه لعلمه بفضل الكلام المنثور أنزل كتابه العزيز منثوراً ذا مقاطع وفواصل ولم ينزل له قصائد ذوات قوافٍ وأوزان ، وعراه من حلية النظام الذي يصقلُ صفحة الكلام ، ليظهر العجز من غير طريق القوم الذين أنزله بلسانهم .

ولو كان النظم أيضاً أفضلَ من النثر لوجب أن يجيء ما نقله الشعراء من معاني الكلام المنثور الى النظم في (أعلى) صورة من البلاغة ، وهذا مستحيل ، لأننا إذا أعرنا ما نقل من معاني النثر الى النظم وجدناه قد انحط عن درجته في النثر . ومن ذلك قول الله تعالى : « يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم هم العدو »[١٣] ، فإن جريراً نقله الى قوله[١٤] :

حملتْ عليكَ حماةُ قيسٍ خيلها
شُعْثاً عوابسَ تحملُ الأبطالا

ما زلتَ تحبسُ كلَّ شيءٍ بعدها
خيلاً تكُرُّ عليهمُ ورجالا

(٣٩) والفرقُ بينَ الكلامين ظاهرٌ لَمَنْ كان ذوقُه مستقيماً وطبعُهُ سليماً .

ومنه قوله تعالى : « كمثل الحمار يحمل أسفاراً »[٦٥] . نقله الشاعر[٦٦] الى قوله :

زوامِلُ للأشعارِ لا عِلمَ عِندهُم
بجيِّدِها إلّا كعِلمِ الاباعر
لَعَمْرُكَ ما يدري البعيرُ إذا غدا
بأوساقه أو راح ما في الغرائرِ

وبيان هذين الكلامين واضحٌ أيضاً .

فإن قيل : إنهُ يجبُ أن توقع المقايسةُ بين النظم والنثر من كلام المخلوقين دون كلام الخالق ، عزَّ سلطانه ، لتفرُّدِهِ بالمُعْجز وحلوله في الدرجة العالية من البلاغة التي لا يصلُ البشرُ إليها ، سلَّمْنا ذلك وأوقعنا المقايسة بين كلام البشر وأتينا في التمثيل بأبلغ النوعين ، أعني المنظوم والمنثور .

فمن ذلك قولُ النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للأنصار ، رضي الله عنهم : (إنكُم لتكثرون عند الفزع وتقلُّونَ عند الطمع)[٦٧] .

قال عنترةُ بن شداد[٦٨] :

يُخْبِرُكِ مَنْ شَهِدَ الوَقيعةَ أنّني
أغشى الوغى وأعِفُّ عندَ المغنمِ

يشتملُ هذا البيت على معنى كلام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ويوازنُهُ في عذوبة اللفظ ، فقد ساواه كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بنفسه لا بسبب آخر هو معرضٌ له . وهذا يوجب الفضيلة للنثر لأنها حصلتْ له بنفسه لا بسببٍ من خارجٍ .

والنظمُ إنما تَمَّمَ حُسْنَهُ المعرض الذي هو لا بسُّهُ من الوزن والقافية ، (٤٠) وذلك أنّ الشعر حالٌ من الأوزان والقوافي وقيام كلِّ بيتٍ وانفصاله عن غيره بما النثرُ عاطلٌ منه .

وهذه أسبابٌ تزيد في رونقه وجوهره وتقضي بتقبل الأنفس له ، ولذلك يعجبُ به كثيرٌ ممن لا يفهم معنى الشعر ويتحفظه وإن كان ملحوناً مستحيل المعنى .

و(أمّا) النثرُ فإنما تحليه بلاغته ، فإذا ساوى وهو عاطلٌ بنفسه ما هو حالٍ فقد زاد عليه لا محالة ، لأنه لو كانت له حليةٌ لفُضِّل بها على ما سواه بنفسه لا غير . ومثالُ ذلك انا لو استعرضنا شخصين : أحدهما حالٍ كاسٍ ، والآخرُ عاطلٌ عارٍ ، فتوازنا في الوضاءة والصباحة ، لحكمنا للعاطل العاري بالارباء والابراز على الكاسي الحالي ، لأن الحالي الكاسي لو نزع حلاه وكساء وقايس العاطل العاري لما ساواه .

وأما وجازةُ البيت فلأنّهُ مُعبِّرٌ عن حالٍ يخصُّ قائلهُ ولا يعدوه .

وفي كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، زيادةٌ في المعنى أوجبت زيادة اللفظ ، وهي العموم في الحال المعبر عنها ، وخطاب الجماعة بقوله : (تكثرون وتقلون) ، وقوله : (عند الفزع) ، يجمعُ الجنس الذي من أنواعه الوغى وغيره . وكذلك (الطمعُ) فقد يكون مغنماً وغير مغنم .

ففي الكلام فوائد ليست في البيت ، ومطابقةٌ لفظيةٌ وهي ذكر القلة والكثرة .

ومع هذا فإن صاحب النثر مطالبٌ بطبقِ معانيه على ألفاظه ، غير مُسامحٍ بضرورة ولا مجازف باستعمال كلمة مرفوضة ، وليس (٤١) كذلك الشعرُ ، لأنه يتبعُ الوزن وينقادُ الى ما تقتضيه القافية ، وصاحبُهُ مُساهلٌ فيما خالف القياس ، مُسامحٌ بما لا يُسمَحُ به لمُترسلٍ ولا خطيبٍ .

فإن قيل : إذا كان النثرُ في أعلى طبقةٍ من البلاغة ، لخلوه من سببٍ يُحسنُهُ واكتنافه ببلاغته وتأليفه المخصوص ، فما يمنعُ أن يكون الشعرُ أفضل من أجل أنَّهُ لو قُدِّرَ أنَّ كلاماً منثوراً بلغ الغاية من البلاغة بنفسه وتأليفه ونُقِلَ على صورته الى الموزون لصار في أفضل من حالته الأولى ، لجمعه بين بلاغته وهو نثرٌ وما اكتسبهُ من تحسين الوزن ، لا سيما ولا منزلة من البلاغة في غير الشعر إلاّ ونقلها الى الشعر ممكنٌ .

قُلنا : هذا لا يصحُّ ، لأن الكلام البليغ نمطٌ من التأليف وضربٌ من الترتيب .

ونقل الشاعر[٣٩] ، قول علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : (قيمةُ كلِّ امرىءٍ ما يُحسِنُ)[٤٠] ، فقال :

فيا لائمي دَعني أُغالي بقيمتي
فقيمةُ كُلِّ الناس ما يُحسنُونَهُ

فإنه وإن كان قد أورد المعنى في نصف بيت على سبيل التضمين والاهتدام والنقل لم يأت بما ينسبُ إليه إلاّ لفظاً بدله وزاده لاقامة الوزن . والذي طبعه سليمٌ وحسُّهُ مستقيمٌ لا يفتقرُ الى تعريفه فرق ما بين الكلامين ، إلاّ أنَّ هذا الشاعر زاد فاءً في قوله : (فقيمة) ، وهي مستكرهةٌ ثقيلةٌ في هذا الموضع ، وأبدل لفظة (امرىء) بلفظة (الناس) ، وامرؤٌ أعذبُ وألطفُ ، ونقل قوله : (ما يحسن) الى قوله : (ما يحسنونه) ، (٤٢) والجمع بين هاتين النونين وليس بينهما إلاّ حرفٌ ساكنٌ ، والساكنُ لا يُعْتَدُّ به ، مستوخمٌ[٤١] .

وفي هذا دلالةٌ على بطلان نقل المنثور إذا علت طبقتُهُ في البلاغة الى المنظوم وهو على الصورة التي كان عليها في المنثور ، وهنا في الوجيز ﴿من﴾ النثر فكيف بالمسهب الكثير الذي يُحتاجُ فيه الى التبديل والتغيير . ولولا خوفُ التطويل لاتينا بأمثلة من النثر والنظم . وفي الذي أوردنا كفايةٌ في مناقضة من ذهب الى تفضيل النظم على النثر .

﴿ مراتب صناعة الكتابة ﴾

وأما المراتبُ التي تنقسمُ إليها صناعةُ الكتابة فخمس عشرة مرتبة ، وهي :

الوزارةُ والتوقيعُ والرسائلُ والخراجُ والضياعُ وبيتُ المالِ والخزائن والنفقاتُ والجيشُ والزمامُ والبريدُ والفضُّ والمظالمُ وكتابةُ القضاء وكتابةُ القُواد والأمراء وكتابةُ المعاون .

وقلنا فيما سلف إن اسم الكاتب إنما يقع في الحقيقة على الكاتب المستقل بجميع آلاتها ، المحيط بكلية أدواتها ، لا من تعلَّقَ منها بالسبب المنصرم واستند الى الركن المتهدم . وينبغي لمن تمثَّلَ بحبلها وأحبَّ أن يكون من صرحاء أهلها ، أن يتحلَّى بحلية فضلها ، ويصبر[٤٢] على المشقة في اجتياز مداها ، ولم يقتصر على اسمها دون معناها ، لتحصل له حقيقةُ ما انتسب إليه ، ولا يكون دعياً ملصقاً ، ويفوز بمعنى ما يُسمَّى به ولا يكون صفراً منه مُمِلقاً ، فإنْ عجز عن استمامها ، وقصر عن استيفاء أقسامها ، فلا يقفُ في الفنِّ الذي (٤٣) يعتزي إليه من فنونها دون غايتها ، ولا يرضى بالخروج من خاصته الى عامته .

وقد مثلت الحكماء الملك وأعوانه بالنفس والاعضاء ، فقالوا : مثالُ الملك مثالُ النفس التي تسوسُ جميع الجسد ، ومثال الخدم مثالُ الأعضاء التي تخدمُ النفس . وقسموا الخدم بحسب انقسام الاعضاء فقالوا : إنَّ منهم من يخدمُ الملك خدمة القلب

للنفس التي هي التفكيرُ وإجالةُ الرأي ، وهذا عملُ وزير السلطان الذي يستعين بآرائه في مصالح الملك . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة اللسان للنفس التي هي العبارةُ عن الضمائر واخراج الصور الوهمية الى المخاطبين ، وهذا عملُ كاتب الملك الذي يأمرُ عنه وينهى ويخاطبُ . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة اليد للنفس التي هي تُناول الحاجات ، وتُقربُ ما يحتاج الى تقريبه ، وتدفعُ الأذى عن الجسم والمغالبة والمباطشة إذا احتيج إليهما ، وهذا عملُ أجناد الملك وأنصاره وخُدّامِهِ الذين يقومون بمرافق الملك .

ومنهم من يخدمُ الملك خدمة الرِّجْل للنفس التي هي للسعي والحركة الى المواضع التي يستدعي لها حاجاته ومهماته ، وهذا كرسل الملك . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة البصر للنفس التي تلحظُ له الأشياء وتحفظها وتشاهدها ، كأمناء الملك وعمّاله . ومنهم من يخدمُ الملك خدمة السَّمعِ للنفس التي هي آتيةٌ بالأصوات والأخبار على حقائقها ، وهذا عملُ أصحاب البُرُدِ الذين يفحصون عما غاب عن الملك (٤٤) ويطالعونَهُ به .

وهذا دالٌّ على أنَّ أهل هذه الصناعة هم المتحملون لمعاظم شؤون الملك والقائمون بجمهور أموره . ولا ينبغي لأحدٍ منهم أنْ يتعرض لنوع من أنواع خدمته إلاّ بعد مهارته في ذلك النوع ، وارتياضه به ، وثقته بنفاذه فيه .

ونحن نذكرُ ها هنا ما يلزمُ كلَّ طبقة من هذه الطبقات الخمس عشرة أن تستقلَّ به من العلوم والآداب بالقول المجمل ، ليأخذها من معادنها ، ويجتلبها من مظانها . والله المستعانُ .

الوزارة :

هي الرئاسة . وصاحبُها يجب أنْ يكون قيِّماً بجميع أنواع الكتابة وأقسامها ، عالماً بشروطها وأحكامها ، لأن كلَّ ناظرٍ في فنٍّ من فنونها اليه يرفعُ ما ينظرُ فيه ، فلا يجوزُ أنْ يكون جاهلاً بشيءٍ منه ، وأن يكون نافذاً في علوم الدين ، لأنَّ الدِّينَ أساسُ المُلك الذي يبنى عليه أمره ، وأن يكون فاضل العقل ، أصيل الرأي ، جيد الروية ، ثاقب البديهة ، جميل الصفح ، مُترفِّعاً عن المباهاة برئاسته والمطاولة بمنزلته ، عفيف الطعمة ، شريف النفس ، وقوراً ، صموتاً عن الخوض فيما لا يعنيه ، كثير الأناة ، منتهزاً للفرصة ، متصرفاً لبلاغتي المنطق واليد ، فاضل الطبع ، مجبولاً على العدل ، عالي الهمة ، صادق اللهجة ، متأنياً في وعيده ، يلاينُ أهل الطاعة والانقياد ويُغلظُ على ذوي المعصية والعناد ، لا يسرعُ الى العقاب متهوِّراً ولا يطمعُ في إغفاله مضجعاً ، آخذاً بالتقوى ، عادلاً عن الهوى ، لا يشقى به المُحقُّ وإن كان عدواً ، (٤٥) ولا يسعدُ به المُبطلُ وإن كان ولياً ، سهل الحجاب ، مفتوح الباب ، لطيفاً باللهيف المظلوم ، عسوفاً على الغشوم الظلوم ، محباً للخير ، مستكملاً شرائط المروءة وأقسامها ، في سعة المنزل والطعام ، وجودة الفرش والثياب ، وعطر الرائحة ، وفراهة الدواب ، وكثرة الأصحاب ، من غير مبالغة تطغي وتزدهي ، ولا تقصير يغضّ ويغمضُ ، متجنِّباً للغضب ، قليلَ اللهو والطرب ، مداوماً للتجارب ، ملابساً للنوائب ، عارفاً بتصرُّفِ الأحوال ، عالماً بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ، مستوفياً لحقوق السلطان من غير حيفٍ على معاملته ورعيته ، معتمداً للانصاف لهم والانتصاف منهم ، مقدماً أهل الفضيلة والدين والغناء ، مُستكفياً للكفاة ، عارفاً لذوي البيوتات والرتب أقدارهم ومنازلهم ، مُنزِلاً بحيث يستحقون منها ، بصيراً بمكايد الحروب ومُعاجمة الخطوب وتدبير الدولة وسياسة الرعية ، عارفاً بما يعتمدُ كلَّ طبقةٍ منها من عسفٍ ولطفٍ وخشونةٍ ولينٍ وما يصلحُ عليه من السيرِ المتضادة ، لا يشغلُهُ كبيرُ أمرٍ عن صغيره ، مقدِّماً للحزم ، عاملاً بالعزم ، ناظراً في العواقب ، مخلص النيَّةِ ، صحيحَ الطويَّةِ ، حارساً . .

وسنذكرُ في الباب العاشر ما يحتاجُ إليه كافة الكُتّابِ من الاعتقاد والتخلّق والعمل ، إن شاء الله تعالى .

التوقيع :

صاحبُ التوقيع هو يدُ الوزير ونائبُهُ ، ومتولِّي العرض على الخليفة إذا غاب . وإذا لم يكن للسلطان وزيرٌ منصوبٌ (٤٦) فالموقِّعُ يدخلُ مدخلَهُ .

وينبغي أن يكون مستقلاً بكلِّ ما يستقلُّ به الوزراء ، ماضياً في جميع علوم الدواوين على اختلافها ، عارفاً بأوضاعها وبوجوه الأموال وتشميرها وصلاح الرجال وسياستها ، وقد يحتمل تقصير الكاتب في أشياء : فمنها أن يكون عفيفاً أميناً وإن لم يكن ناقداً بصيراً ، ومنها أن يكون عارفاً بوجوه المال موفراً له عاجزاً فيما سوى ذلك من أقسام الصناعة ، ومنها أن يكون مُقصِّراً في البلاغة إلاّ أنَّهُ يعبرُ عن نفسه وعن صاحبه بما يؤدي الغرض من غير إخلالٍ بمعنى ، وقد تمهدتْ له حرمةٌ ، وعُرفتْ منه مخالصةٌ ، واستمرّت له صُحبةٌ .

فأما صاحبُ التوقيع فلا يحتملُ تقصيره في شيء بالجُملة ، لأنه يدُ السلطان ولسانُه . وإذا علم منه أصحاب الدواوين غباوةً وتخلُّفاً وجهلاً بما يخرجونه أدغلوا في المؤامرات ووَرَّوْا عما يؤديهم الى الارتفاق . وينبغي أن يكون مع تحصيل هذه الأدوات كلِّها حسن الخطِّ ، سريع البديهة ، ديناً ، أميناً ، نزه النفس ، لا يخرجُ عما يؤمرُ به ولا يتعداه لغرض من الأغراض كُلِّها .

الرسائل :

صاحبُ هذه الرتبة هو لسانُ الملك الناطقُ بحجته ، المترجمُ عن عقله ومقالته ، وهو حليةُ المملكة وزينتها ، يرفعُ ذكرها ويُعلي قدرها ويُعظِّمُ خطرها ويدلّ على فضل ملكها ورئيسها . وهو المتصرِّف عن السلطان في الوعد والوعيد والترهيب والترغيب والاحماد والاذمام واقتضاب (٤٧) المعاني التي تُقِرُّ الوليَّ على ولائه وطاعته وتبعدُ العدوَّ العاصي عن عداوته ومعصيته[٧٣] .

وينبغي أن يكون قيِّماً بكلِّ ما يشتملُ عليه كتابُنا هذا من الآداب الأُخر التي تُؤخذُ من مواضعها .

ومتولي الرسائل إذا لم يكن للسلطان صاحبُ توقيع ينوبُ منابه ويكفي فيما يتولاه .

ويجبُ أن يكونَ مُوجزاً في موضع الايجاز ، مُطنباً في موضع الاطناب ، حتى إذا وقع جَمَعَ المعاني وأجملها ، وإذا كتب بسطها وفصَّلها . وهو يرأسُ طبقات الكتاب ويتقدمهم بالفضائل التي ذكرناها في الباب الأول من هذا الكتاب وبما خُصَّ به من وقار العلمِ وفصل الحكم ورجاحة الفهم وصواب المنطق ، والتميّز عمّا في الطبقات الأُخر من الطيش وخفة الأحلام وزلل الألسن .

وقالت الحكماءُ : الكُتّابُ كالجوارح ، كلّ جارحةٍ منها ترفدُ الأخرى في عملها ، وكاتب الرسائل بمنزلة الروح المشاركة للبدن المدبرة لجميع جوارحه وحواسِّه .

وهذا تمثيلٌ صحيحٌ لأنّ هذا الكاتب هو الذي يمثّلُ لكلِّ عامل في تقليده ما يعملُ عليه ، ويتصفّحُ ما يردُ منه ، ويصرفه بالأمر والنهي على ما يؤدي الى استقامة ما عَدَقَ به[٧٤] . وهو يحتاج الى أن يكون بين يديه كُتّاب يُعينونه في الانشاء ، وآدابُهم كآدابه .

فأما آدابُ الصناعةِ والسياسة التي يفتقر اليها كاتبُ الترسيل فقد استوفينا القول عليها في البابين التاسع والعاشر من هذا الكتاب . والله الموفقُ للصواب بمنّه وكرمه .

(٤٨) الخراج :

خطرُ متولي الخراج بحسب ما يتولاه من أموال السلطان التي يستظهرُ بها على جهاد أعدائه وإرهاف عزائم أوليائه . وهو يحتاج الى المعرفة بوجوه الأموال ومصالح الأعمال ورسوم الخراج واستئداء ما يجبُ منه في أوقاته وتناوله من جهاته ، والاستقلال بجزء غير يسير من كتابة الرسائل لما يحتاجُ الى إنشائه من العهود الخراجية المودعة شروط العمالة ، والمناشير المتعلقة بالعاملين ، وكتب القبالات[٣٥] والضمانات ، والكتب النافذة الى العمال في جباية الأموال والحث والاستبطاء في حملها والاحتجاج بما يوجب المبادرة بها واستدعاء الحساب وشواهده وغير ذلك مما يقع في عمله ، والعلم بالفروض والزكوات والأخماس والأعشار التي أوجب الله تعالى على المسلمين إخراجها من أموالهم ، لتناولها على حقها الذي أُمِرَ به ، والشروط الفقهية ليستعملها إذا ضمَّن وقَبَّل ، والرسوم الديوانية التي يستعملها السلطان استظهاراً على مُعامليه ، على أنه لا يجوزُ له أن يخرج عن حكم الفقه والدين ، والتميز في الحساب وجودة العقد وتأليف أنواعه واستيفائه من رافعيه على الصحة والحقيقة . وهذه الثلاثة أشياء[٣٦] التي هي العقد والتأليف والاستيفاء هي أصول الأعمال الديوانية ، فليُنتظر فيما يحتاج اليه العمال من أحكام المساحة والزراعات وأوقاتها وفسادها وصلاحها ، والأصناف العالية منها ، والآفات الداخلة عليها ، ورسوم السقي(٤٩)وتقسيم الشرب والعمارات وعمل الجسور والترع وغير ذلك ، والاحاطة بارتفاع كل ناحية ، فمتى سُئِلَ عن ذلك أجاب من غير رجوع الى شواهده ، وإن أمكنه أن يعرف ارتفاع جميع الكور كان أزيد في فضله ، وحفظ المستخرج والمحمول الى بيت المال والحاصل ، حتى متى كشف من جهته عن شيء من ذلك ذكره من غير أن يطالع تعليقاً ولا غيره ، والمعرفة بالعمال الذين يتصرفون من قبله والكُتاب والخُزان وأسمائهم وأسماء آبائهم ومنازلهم وطرائقهم وسيرهم ومبالغ أرزاقهم ، وأن يكون مع ذلك صبوراً أميناً نزهاً مستوفياً للحجة في المناظرة متفقداً لديوانه معتمداً للحقّ عادلاً عن الهوى مستشعراً خيفة الله تعالى .

الضِّياع :

كتابة الضياع جليلة المقدار ، لم تزل عناية الملوك مصروفةً الى من يعرفها ويُسندُ إليه أمرُها من ذوي السابقة والقدر والحُرْمة والوجاهة . وصاحبُها يحتاج الى أمر كثير وجزء كبير من المعرفة بأحكام الترسيل لما يكتبه من مناشير الوكلاء والأمناء والمُسّاح والخُزّان وكتب القبالات وعلم الحساب ومعرفة التأليف والجباية والاستخراج .

وهذه وإن كانت أنواعاً فهي ترجع الى جنس واحد وهو استيفاء حقوق السلطان وترتيب الارتفاع والحمول والنفقات والحواصل والبواقي ، ليضع كلاً من ذلك في مكانه ، والنفاذ في المسايح علماً وعملاً والكيل والتقدير ، والعلم بأمور الزراعة وأصناف النبات (٥٠) من الشجر والزرع وما يفضُلُ بعضه بعضاً منها ، وأوقات الغرس والزراعة ، والآفات العارضة للنبات ، وأخذ العاملين بالتوفر على ما يلزمهم من العمائر والمصالح ، والنظر في أمور الحرث والاهتمام بذلك واحتفار الخلج والخوطة على المياه وتقسيمها على قوانين الريّ ، وتعهد ما يُسقى بالدّوالي والسواقي ، وتقوية ما يجب تقويته من أصناف الزرع والبذار والحصاد والدراس ورفع الغلات ، ومطالبة المستخدمين بعمل كلّ شيء من ذلك في وقته . وسنستوفي القول في كتاب الخراج إنْ شاء الله .

بيت المال والخزائن :

متولي هذه الكتابة هو أمين السلطان على أمواله وعروضه وذخائره وزين دولته في الجواهر والملابس والأواني وغير ذلك من الأسلحة والمراكب وآلات المواكب وما يجاريها .

ويجب أن يكون ثقةً حافظاً ، عارفاً قدر ما ائتُمن عليه ، متجنّباً للخيانة ، عالماً بالأصناف التي تحت يده ، حازماً لا تتمّ عليه حيلة ، وأن يكون قيّماً في الحساب بما يكفيه في ضبط ما يُحملُ إليه من ذلك .

النفقات :

متولي النفقات كأنّه ضدّ متولي الخراج ، لأن صاحب الخراج موضوعه جمعُ أموال السلطان من جهاتها ، وصاحبُ النفقات موضوعه تفرقتُها في مستحقيها من رجال الدولة وحماتها الذين يسدون ثغورها ويذبون عنها . وعليه القيامُ بحساب ما يُنفق (٥١) فيهم وفي غيرهم من سائر النفقات الخاصة والعامة . وينبغي أن يكون قيّماً بالحساب ، عارفاً بنصب دفاتره وتتبعه واستيفائه ، وأن يُقدّم ما يجبُ تقديمُهُ من النفقات ويؤخّر ما يجبُ تأخيرهُ منها ، فإن مُؤن السلطان التي يحتاجها للاستظهار في عُدَّته وتزيين مملكته مؤسّسةٌ على مساواة دخلِه ، ولا يصحُّ ذلك إلّا بالحزم في نفقاته وتقديم الأهمّ منها وتأخيره ما يمكنُ التسويف به ، حتى لا يخلو بيتُ المال من حاصلٍ يكون ذخيرةً فيه إن عرض للسلطان مهمٌّ يدعوه للاستعانة بماله ، فإنه إن فقد ذلك وقت الحاجة إليه اتهم كاتبه بالخيانة وإن كان أميناً ، وقلّة الاضطلاع وإن كان كافياً ، وإن وجد ما يستعينُ به على بلوغ غرضه زادت حظوتُهُ وعَلَتْ رتبتُهُ وتأكدَتِ القربةُ له .

ومراتب كُتّاب النفقات تختلفُ على اختلاف ما يتولونه .

الجيش :

خطرُ منزلةِ كاتبِ الجيش بمقتضى خطر ما ينظرُ فيه من أمور الرجال الذين هم أعضادُ السلطان وأعوانُه . وهو يحتاجُ الى الاستقلال بجزءٍ كثير من الحساب والى معرفة ثبياتِ الخيل وأسنانها وعتاقها وأوصافها المحمودة والمذمومة وعيوبها الأصلية والحادثة وأخلاقها وخلقها ، والمعرفة بالأسلحة وأنواعها . والسيوف وجواهرها ومياهها ، والرماح وأجناسها والمختار منها ، والقسيّ والسهام والدروع (٥٢) وما يجاريها من الآلات التي ألهم الله تعالى الانسان إعدادها للدفاع عن نفسه وجعلها له عوضاً مما جعلت اتخاذها باقي الحيوانات الأُخر من الأعضاء التي يدافع بها عن نفسه كالأنياب والمخالب والقرون والحوافر ، وأن يطالب الأجناد بتحصيلها وعرضها في كلّ وقت ، كما يعرض الخيول التي يُثبتُ شياتها في ديوانه ، ولا يفسح لأحد منهم في الاستبدال من جيّدٍ بردىء ولا من عتيقٍ بهجينٍ ولا من أصيلٍ بدنىء ، ومن غيّرَ شيئاً ألزمه بتعويض ما غيّره . ولهذا أوقع حَزَمةُ الملوك الوسوم على الخيول والعلامات على الاسلحة .

ولا بأس بأن يكون قد تأدّبَ بالفروسية وأخذ بطرفٍ من العمل بالسلاح ، وأن يكون فيه حُسنُ مداراة وجميلُ ملقى وصبرٌ على مُرِّ أخلاقٍ من عامله ، فإنه مدفوع الى سياسة طوائف عِدّة من أهل الحميّة وعِزّة النفس . وهو محتاجٌ الى رياضتهم وحُسْنِ السيرةِ في معاملتهم ليتمكن من حملهم على الحقّ ، وأن يبني أمرهُ على النزاهة عن الطمع ، ليقتدر بذلك على ما يرومه من تنزيلهم منازلهم ، وليحذر وضع الأعلى ورفع الناقص ، وليأخذ بالحزم والأمانة فإنّ خيانة كاتب الجيش يتوجه على المال والرجال ، ولا يخص أحداً دون آخر ، فإنه إذا اعتنى بمن لا كفاية عنده نزّله منزلةَ الكافي ، وفرض له من مالِ السلطان ما يُفرضُ للكُفاةِ ، فيكون خائناً بإعطائه من لا يستحقُّ . (٥٣) ولا غناء به عن جزء من كتابة الترسيل ، لأنه رُبّما نُدِبَ مع والي حَربٍ واحتاج الى المكاتبة عنه بخبر الفتح وغيره مما يعرضُ له .

الزِّمـام :

كاتبُ الزِّمام يجبُ أن يكون ذا رئاسة وموضع في نفوس الناس ونفاذٍ في نوع الكتابة التي تُجعلُ زماماً عليه ، ذا علم بأحكامِهِ ورسومه ، فيحتاج الى التمهُّرِ فيما يتمهَّرُ فيه كاتبُ النفقات ليطالب عماله بما تقتضيه خدمته ويستوفي منه شروطها وقوانينها وينبغي أن يكون أميناً مُتحرِّزاً مُحتاطاً ، غير مُقصِّر ولا مُمالٍ .

وقد جرت العادة بأن يردَّ الى صاحب الزِّمامِ خاتم الخليفة ، ويكون اليه ختمُ الكتب التي تنفذ عنه . وسنذكر الرسم المستعمل في ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى .

البريد :

هذه الكتابةُ كتابةٌ خطيرةُ الشأن في أعمال السلطان ، وذلك أنّ السلطان كما يحتاجُ الى كاتب يُعبِّرُ عنه ويُخاطبُ بلسانِهِ الجمهور ، وكاتب يجمعُ أموالهُ ، وكاتب يُفرِّقُها في وجوهها ، وكاتب يتولى أمرَ جُندِهِ ، فكذلك يحتاجُ الى كاتب بريد يُنهي إليه أخبارِ الحُكّامِ والعُمّالِ وولاة الأعمال وقتاً وقتاً ، ليُقابلها من في التدبير بما يجري الأمر أحسن مجاريه .

ولولا أصحابُ الأخبار والبُرُدِ لم يُحطِ السلطانُ من الأحوال إلاّ بما دنا منه . وصاحبُ هذا العمل يحتاجُ الى حظٍّ وافر من كتابة الترسيل ، لأنّه يكاتبُ السلطانَ في المهمات والأسرار (٥٤) التي لا يطلعُ عليها غيرُه . وينبغي أن يكون قادراً على مخاطبته من الكلام البليغ الجامع للمعاني بما تقتضيه رتبتُهُ ، مُتمكناً من التصرّف في الصناعة ، ليتأدب في مكاتبته له ، ويتجنب مقابلتهُ بما لا يجوزُ ان يُقابل به ، وان يستقلَّ من الحساب بما يقدره على ضبط ما يجري على يده من أرزاق المستخدمين في البُرُدِ وغيرهم ، وأن يتخلّقَ بالشفقة والنصيحة والأمانة واتباع الحقّ ، والفحص عن المستور من الأخبار وإيثار ما يعودُ بصلاح السلطان والرعيّة ، وأن يستوي عنده الولي والعدو في الحقّ ، فلا يُقبِّحُ ما يُكاتبُ به في العدو ولا يُحسِّنُهُ في الصديق ، ولا يُهادي أحداً من العمال في عمله ولا يُداعبُهم ولا يقبلُ هداياهم ولا يحضرُ دعواهم ولا يأنسُ بهم ولا يكتمُ شيئاً من أمورهم . ويحضرُ مجالس الولاة ويطالعُ ما يحتاج الى عمله مما يجري في كلٍّ منها .

الفَـضّ :

كاتبُ الفضِّ يجبُ أن يكونَ بليغاً ماهراً في صناعةِ التّرسيل ، قادراً على جمع المعاني الكثيرة في الألفاظ القليلة ، وكتابُ المصريّين يسمُّونَهُ المُخرِّج ، وخدمتُهُ في مجلس الوزارة ، وموضوعُهُ أن يُخرجَ من الكتب الواصلة الى السلطان من عُمالِهِ جوامعها ويوردها بقولٍ وجيز في سراح ليخرج أمرُهُ في معنى كلِّ كتاب بما يراه ، إذ لا يتسعُ زمانه لقراءة فصوص الكتب الواردة عليه . وينبغي أن يكون هذا الكاتبُ كتوماً للأسرار (٥٥) خازناً للسانِهِ حافظاً لما يمرُّ عليه .

المظالم :

معاملةُ متولّي هذا الديوان جاريةٌ مع أهل الخراج ومن يجري مجراهم ممن يتظلّم من عمال السلطان الذين لا يمكنُ احكامُ إحضارهم ولا بتّ الحكم بينهم وبين من يدعي عليهم ، لأنّ جُلَّ دعاوي هؤلاء في أشياء من حقوق الزراعات وحدود الأرضين

والسواقي والضياع التي لا تقوم البينات عليها بالشهود المعدلين ، ويمكن أنْ يستدلَّ على الحقِّ فيها بشواهد وعلامات يُرجعُ الى مثلها ، ويقع التراضي بشهادة من يشهد عليها من المجاورين والمستورين ، ولذلك حيز هذا الديوان عن الحكام .

وينبغي أن يردّ النظر فيه الى رجل ذي أمانةٍ وعدلٍ ورحمةٍ ليعملَ بالحقِّ ويرؤفَ بالضعيف . وأولُ ما يجبُ عليه أن يطلب البيِّنة من المترافعين إليه كما يطالبُها الحكامُ ، فإن قامت له بيِّنةٌ مرضيةٌ استغنى عن الاستدلال بالشواهد والعمل على الشائع الذائع فإذا اختلفت عليه الأمور فليدعُ الى الصلح ولا يدخل فيما يتقلّدُ منه إثماً . وينبغي أن يتأدب بكثير من آداب الحكم التي يشتملُ عليها رسمُ تقليد القضاء الذي يأتي في موضعه من هذا الكتاب .

كتابة القضاء :

هذه الكتابةُ كان حكماءُ الفرس يسمُّونها كتابةَ العدل . وهي تلي منزلة الحكم في الشرف والفضيلة ، لأنَّ كاتب الحاكم يدُهُ ولسانُهُ الذي يخاطبُ به نوّابهُ وخلفاءه ، ويُمثِّلُ لكلٍّ منهم (٥٦) ما تجري الأحكامُ عليه في عمله .

والمُرشَّحُ لهذه الكتابة لا يَغْنَى عن التمهُّر في البلاغة وتأليف الكلام والقيام بعلم موفورٍ من علم الفقه والأحكام الشرعية ، لا سيما ما دخل منها في الدعاوي والبيّنات والاقرار والشهادات والمصالحات والشروط والوثائق والسجلات وما أشبهها .

وينبغي أن يكون ديناً حليماً وقوراً أميناً عفيف النفس والجوارح موسوماً بجميل السيرة وحسن السريرة .

كتابة الأمراء والقواد :

كُتابُ الأمراء والقواد يحلون منهم محل الوزراء من الملوك والخلفاء . وينبغي لهم أن يتصرفوا في جميع فنون الكتابة ، لأنهم الذين يكاتبون الناس عن أصحابهم ، فلا يَغْنَوْنَ عن حظٍّ متوفرٍ من الترسيل ، والذين ينظرون في أموالهم ، فلا مندوحة لهم عن المعرفة باستخراج المال وأسباب العمارة والمهارة في كتابة التفصيل ، والذين يستوفون حقوقهم من ديوان الجيوش ويعرضون رجالهم ودوابهم ، ولا غنى لهم عن العلم بأمور الجيش ورسومه ، وكذلك سائر ما يدخلُ في اعمالهم .

وينبغي أن يكون فيهم مع ذلك لطفٌ وحسنُ مداراةٍ وعشرةٍ ووفاءٍ وأمانةٍ ، وحُسن مناب وسفارة عن أصحابهم عند الرؤساء .

كتابة المعاون والأحداث :

كاتبُ المعاون يحتاج مع شَدوٍ ما لا غناء به من أدوات الكتابة التي يدعي مع شدوها الى المعرفة بالأحكام الشرعية في الحدود التي أمر الله تعالى بها (٥٧) على من تعدّى الى محارمه من القود والقصاص والقتل والديات والأرش والضرب والصلح وغير ذلك مما يُجاريه ، ليمضي الحكم فيه على ما يسلمُ معه من دينه ودين من استكتبه .

فهذه مراتبُ الكتابة التي تنقسمُ إليها الصناعةُ ، وما يلزمُ المرتبين فيها أن يقوموا به من العلوم والآداب والأخلاق .

القول على هذه الصناعة في أي مذهب هي من المذاهب :

قد قُلنا فيما سلف أن حكماء اليونانيين كانوا يسمُّون صناعة الكتابة : العلم المحيط . وهذا اسمٌ واقعٌ لافتقار جميع الأشياء وحاجتها الى الاستعانة بها في تكميل معانيها . وهي لذلك حقيقة بأن تكون العلوم والصنائع في حيِّزها أو في حيِّز شيء منها ، وأن يكون لها رتبة السلطنة والمملكة عليها . ويؤكدُ ذلك أنَّ هذه الصناعة تستعملُ جميعَ العلوم والصنائع الخاصة على وجهين : أحدهما أنها تستخدمُ[٧٧] بعضها لما لها من الشركة ، والآخر أنها تستعملُ بعضاً عن طريق الأدب والتحلية من غير مشاركة . . نحو علم البلاغة واللغة والنحو والحساب والمساحة والهندسة والمنطق . والتي تستعملها على طريق الأدب والتحلية هي ما لا تفتقر[٧٨] في تمامها إليه ، نحو صناعة الطبِّ والنجوم والموسيقى ، فإن هذه الصنائع وإن كانت غير متعلقة بالكتابة ولا مشاركة لها ، فإن الكاتب لا يغنى عن التأدُّب بمعرفة جُمَلِها وجوامعها ، إذ لا يخلو أن يؤمر بالكتابة فيها بما يفتحُ به جهله وأن يُحاضرَ في مجلس سلطانه من علمائها من يفاوضه (٥٨) فيها . . جميع العلوم والصناعات كالأجزاء والأعضاء لهذه الصناعة ، وهي تحلُّ فيها محلَّ كلٍّ من بعض ، وأصلٍ من فرعٍ ، الا وانها وإن كانت كما ذكرنا فإنا إذا عدنا الى قسمة الصنائع وجدناها تنقسم الى ثلاثة أقسام : إما عملية كالنجارة ، أو علمية كالهندسة ، أو علمية وعملية كالموسيقى ، ووجدنا صناعة الكتابة من الصناعات العلمية العملية لأنها تفتقر في كمالها الى معرفة العلوم التي عددناها والى رسم الرسوم الخطية للابانة عن المعاني وعقد الحساب الذي تُبرزُهُ الأوهام باليدين . فهي على الجملة حائزة للصنائع ذوات الأخبار ومحيطة بها فليست في حيِّز شيء منها ، وعلى التقسيم الصناعي من حيِّز الصنائع العلميَّة العمليَّة .

القول على الرسم :

الرسمُ مُنبىءٌ[٧٩] عن غرض الشيء للمرسوم مثل الرسوم الواقعة على الصنائع وغيرها . فإننا إذا قلنا صناعة الكتابة وصناعة التجارة وصناعة الصياغة عُرفت من هذه الرسوم أغراض تلك الصناعة .

ورَسْمُنا كتابنا هذا بموادّ البيان دالٌّ على إحاطته بالأشياء التي تمدُّ صناعة البيان . وعلى هذا يجب أن يجري الأمرُ في سائر ما يرسمُ ، أعني أن يكون الرسمُ دالاً على غرضه .

القول على علَّة وضع الكتاب :

المعرفةُ بعلَّة وضع الكتاب يدلُّ على السبب الذي من أجله وُضِعَ الكتاب .

وعلَّةُ وضعنا لكتابنا هذا رغبتُنا أن نصنِّفَ كتاباً جامعاً لما تنظمُّهُ (٥٩) صناعة الكتابة من العلوم والآداب الخاصة بها ، ليجد مَنْ يُعنى بهذه الصناعة جميع ما يرومُهُ من أصولها وفروعها التي فرَّقها المصنفون في الكتب مودعةً فيه . ويعرفُ به الطالبُ جلالة خطرها وارتفاع قدرها من بين الصنائع ، ويصرفُ همَّتَهُ إليها ليتميز من انتمى إليها بالاسم دون الرسم وبالزيِّ دون المعنى .

وإذ قد آتينا بما فيه كفاية ، فإنا نقفُ عند هذا الحدِّ من هذا الباب ، ونأخذُ فيما بليه إن شاء الله تعالى .

(١) ينظر : التعريفات ٧٣ ، الكليات ٢ / ٢٣٨ ـ ٢٣٩ ، كشاف اصطلاحات الفنون ٢ / ٢٢ .
(٢) الاعراف ١٤٥ .
(٣) المائدة ٤٥ .
(٤) الحديد ٢٧ .
(٥) العلق ١ ـ ٥ . وينظر : تفسير الطبري ٣٠ / ٢٥٢ وأسباب نزول القرآن ٨ .
(٦) آل عمران ٤٨ . وفي المصحف : يعلمه ، بالياء ، وهي قراءة نافع وعاصم . وقرأ الباقون بالنون . (السبعة ٢٠٦) .
(٧) القلم ١ .
(٨) الطور ١ ـ ٣ .
(٩) الانفطار ١٠ ـ ١١ .
(١٠) الزخرف ٨٠ .
(١١) عبس ١١ ـ ١٦ .
(١٢) الأعلى ١٨ ـ ١٩ .
(١٣) الجاثية ٢٩ .
(١٤) الاسراء ١٣ .
(١٥) الصافات ١١٧ .
(١٦) الجاثية ١٦ .
(١٧) الأنعام ٩١ .
(١٨) البقرة ١ ـ ٢ .
(١٩) الأنعام ٩٢ .
(٢٠) سنن الدارمي ١ / ١٢٣ ، المحدث الفاصل ٣٦٥ ، تقييد العلم ٦٨ ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١ / ٢٢٨ .
(٢١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٣ .
(٢٢) العنكبوت ٤٨ .
(٢٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٨ .
(٢٤) الاوائل ١ / ١١٥ .
(٢٥) النمل ٣٠ ـ ٣١ .
(٢٦) النمل ٤٠ . وينظر : تفسير الطبري ١٩ / ١٦٣ وتفسير القرطبي ١٣ / ٢٠٤
(٢٧) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٩ .
(٢٨) ملك بابل .
(٢٩) ملك بابل .
(٣٠) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٣٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٥ . والمعاليج : البراذن الحسنة السير .
(٣٤) من ملوك العجم .
(٣٥) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٥ .
(٣٦) في الأصل : عليك . والصواب ما أثبتنا .
(٣٧) في الأصل : كذلك . والصواب ما أثبتنا .
(٣٨) ينظر : صبح الأعشى ١ / ١٢٨ ـ ١٢٩ .
(٣٩) ينظر : صبح الأعشى ١ / ١٠١ ـ ١٠٢ .
(٤٠) في صبح الأعشى : الكتابة .
(٤١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٨ ـ ٣٩ .
(٤٢) في الأصل : الذي .
(٤٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٤٤) في صبح الأعشى : الخاصة .
(٤٥) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٣٧ ـ ٣٨ .
(٤٦) من صبح الأعشى ١ / ٣٨ .
(٤٧) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٢ .
(٤٨) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٤٤ .
(٤٩) صبح الأعشى : يتخيلها .
(٥٠) صبح الأعشى : جثمانية .
(٥١) صبح الأعشى : الصورة .
(٥٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥١ .
(٥٣) في الأصل : فهي .
(٥٤) في الأصل : احظ ، بالظاء ، والصواب ما أثبتنا .
(٥٥) في الأصل : التي .
(٥٦) يس ٦٩ .
(٥٧) الحاقة ٤١ .
(٥٨) يُقال : خطيب مصقع ومسقع ، بالصاد والسين ، أي بليغ . (ينظر : الفرق بين الحروف الخمسة ٤٨٨ ، اللسان والتاج ، سقع ، صقع) .
(٥٩) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٦٠ وفيه قول علي بن خلف ، ولكنه لم يشر اليه .
(٦٠) يُقال للسابق الأول من الخيل المُجلّي وللثاني المُصلّي وللثالث المُسلّي . (ينظر : الزاهر ١ / ٢٢٩ ، شرح مقامات الحريري ٣ / ١٥٠ ، نهاية الأرب ٩ / ٣٧٣) .
(٦١) أخلّ به ديوانه .
(٦٢) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٦٠ ـ ٦١ .
(٦٣) المنافقون ٤ .
(٦٤) ديوانه ٥٣ .
(٦٥) الجمعة ٥ .
(٦٦) مروان بن أبي حفصة ، شعره : ٥٨ .
(٦٧) الفائق ٣ / ١١٥ ، النهاية ٣ / ٤٤٣ .
(٦٨) ديوانه ٢٠٩ .
(٦٩) ابن طباطبا ، شعره : ١٢١ .
(٧٠) المحاسن والمساوىء ٢ / ١٢١ .
(٧١) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٩ .
(٧٢) في الأصل : صبر .
(٧٣) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٦ .
(٧٤) ينظر : صبح الأعشى ١ / ٥٦ .
(٧٥) جمع قبالة ، وهي الكفالة .
(٧٦) الصواب : الثلاثة الأشياء .
(٧٧) في الأصل : يستخدم .
(٧٨) في الأصل : يفتقر .
(٧٩) في الأصل : مبني .